



القاضي إسماعيل بن علي الأكوع

المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله في اليمن

القاضي إسماعيل بن علي الأكوع

المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله في اليمن

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

نشر هذا البحث
في الجزء الثالث من كتاب
(التربية العربية الإسلامية)
الصادر عن المجمع الملكي
لبحوث الحضارة الإسلامية
سنة ١٩٨٧ م .

الكتاب ١٠٠٧

الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م

دار الفكر المعاصر

لبنان - **بيروت** - ساقية الجنزير ، خلف الكارلتون
س.ت ٥١٤٩٧ ، ص.ب (١٣٦٠٦٤)
هاتف (٨٦٠٧٣٩) تلكس : FIKR 44316 LE
الصف التصويري : دار الفكر بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل إلى معرفة

هجر العلم ومعاقله

في اليمن

المقدمة :

انفردت اليمن في تاريخها الإسلامي بظهور (هجر العلم ومعاقله) فيها ، فكان لوجودها أثرٌ كبير في استمرار ازدهار العلوم والمعارف في اليمن من غير انقطاع ، وذلك لأنها كانت بعيدة عن ميادين النزاع على الحكم ، فلم يصبها ما كان يصيب المدن التي كانت تتعرض ما بين حين وآخر لمعرة الجيوش وغارات القبائل للنهب والسلب ، فتصاب معاهد العلم ومدارسه فيها بمحن كثيرة تشل نشاطها ، وتعطلها عن أعمالها .

ولقد كانت (هِجَر العلم) في حدٍّ ذاتها ظاهرةً عجيبةً لما تمتاز به من سِمات وخصائص فريدة تلازمها منذ نشأتها

كهجرة ، ولا تنفكُّ عنها حتى تزول عنها صفةُ العلم أو تتحول إلى قريةٍ خاوية على عروشها ، وهي خصائصُ لا يتحلى بها أي معهد أو مركز من مراكز نشر الثقافة والتعليم في ديار المسلمين قاطبة في ما أعلم ، ولا أعتقد أن قطراً إسلامياً آخر قد حَظِي بما حظيت به اليمنُ من وجود (هجر العلم) على أرضِها ، أو عرف نظائرها ، أو حذا حذوها في إيجاد ما يماثلها أو ما يقربُ منها ، تحت أي اسم من المُسميات في هذا المجال .

وما ذلك إلاّ لأن القبائلَ المنيعة في القسم الشمالي من اليمن كانت تتكفلُ بحماية (هِجَر العلم) التي تقع بين أظهرها ، وحماية من يسكنها من العلماء والفضلاء وطلبة العلم فلا يجري عليها ما يَجري على سائر القرى والمحلات الأخرى التي يسكنها عامةُ الناس . وقد منحتها هذه الحمايةُ حصانةً حتى صارت حرماً آمناً . فلا يدخلُها جنودُ الدولة ، ولا تُمْتَهَنُ فيها الحُرُمات ، ولا يَعْتَدي فيها شخصٌ على شخص آخر مهما كانت المسوغات . وإذا حدث شيء من ذلك ، وهو نادراً ما يقع فإن العقوبة فيها أربعة أضعافها في غير (هجر العلم) حتى يرتدعَ من يُفكرُ أو

يَخْطُرَ بباله انتهاك حرمتها بارتكاب أي خطأ صغيراً كان أو كبيراً .

كذلك فإنه كان لا يطلب من أهل الهجر مشاركةُ رجال القبائلِ في تحملِ أي عبءٍ من الأعباءْ المادية ، كما لا يُطلَبُ من شبابهم المشاركة في التجنيد وغير ذلك من الأمور التي تُفرض على القبائل فرضاً ، وإذا اقتضى الحالُ للضرورة القصوى ، ولزم أهلَ الهجر مغرمٌ للدولة ، فإن القبائل تتحمله عنهم بطيبة نفس منها ، وذلك تكريماً وإجلالاً للعلماء وتقديراً لمكانتهم ، وإعلاء لشأنهم ، لأنهم ورثة الأنبياء[1] ، ومحل احترام الناس أينما حلوا وأينما ارتحلوا .

ولحرص القبائل الشديد على بقاء العلماء بين أظهرهم فإن أرزاق أهل (هجر العلم) مكفولةٌ لهم ، ولمن يلوذُ بهم من أهلهم وأقاربهم ولمن يفدُ إليهم من طلبةِ العلم من المناطق الأخرى . إذ

---

(١) هذا الحديث ، ونصه « العلماءُ ورثة الأنبياء » رواه أحمد والأربعة وآخرون عن أبي الدرداء مرفوعاً بزيادة إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم .

كانت تصرفُ لهم زكاة القُرى المجاورة لهجرهم أو ما يقرب منها ـ كما سيأتي تفصيل ذلك ـ فيأخذون منها ما يقوم بحالهم ، ويصرفون الباقي منها على مستحقيها من مصارف الزكاة الشرعية حتى يتفرغوا لممارسة شؤونهم الخاصة ، ولا سيما القيام بالتدريس والإفتاء والتأليف ، وحلّ المنازعات بين المتشاجرين من القبائل وقسمة التركات فلا يشغلهم أمر من أُمور الدنيا ، ولا يصرفهم عنها شيء من مكدرات الحياة .

وأغلبُ الظَّن أن منشأ هذه الضمانات لِهِجَر العلم قد جاء في بادئ الأمر من الحاجة لحماية مَن يتجه من العلماء الطامعين في تولي الإمامة إلى مناطق القبائل المنيعة ليدعو منها إلى نفسه بالإمامة ، ذلك لأنه في حاجة إلى من يحميه ويمنع عنه أذى سطوة الحاكم المتربع على دستِ الحكم . لذلك فإن القبيلة التي نزل بين أظهرها تضطر إلى تهجيره ، وتهجير مسكنه ، وتهجير من حضر معه من أتباعه وأعوانه أو ألحقوا بعده ، وتعلن ذلك في مَجْمَعِها الحافلِ حتى يُبلغَ الحاضر الغائبَ ، فتقطع الطريق على

من يريدُ بـه سوءاً أو مكروهـاً ليعيش في أمن واستقرار حتى يتحقق له الظفر أو يفشل .

ومع هذه المزايا الفريدة التي تتمتع بها (هجر العلم) منذ ظهورها حتى عهد قريب أدركناه ، فإنها لم تنل ما تستحقه من الدراسة حولَ فكرة نشأتها ، وأسباب قيامها ، وتحديد وظائفها ، حتى يكتب عنها كظاهرة اجتماعية بارزة في تاريخ اليمن السياسي والثقافي للتعريف والتنويه بها ، بل لم تحظ بأي اهتمام من الباحثين والمؤرخين على الإطلاق . ولولا أني عرفت أمرها ، وعلمتُ بشأنها من خلال زياراتي المتعددة لمناطق اليمن المختلفة ، ورؤيتي لبعضُ القرى التي تحملَ اسم (الهجرة) ما دفعني إلى البحث عن معرفة أسباب نشأتها ، وعوامل ازدهارها ، لظل أمرها مجهولاً ، ولما تغير في الأمر شيء ، فلقد استرعى انتباهي ظاهرةُ وجودها وكثرتها ، فاستأثرت باهتمامي ، وأخذت أبحثُ منذ ما يقربُ من عشرين عاماً عن سر ظهورها في اليمن ، وعن سبب التسمية بالهجر ، ثم دفعني حبُ البحث إلى تتبع مواقع ذكرها في مراجع تاريخ اليمن ، وطبقات

علمائها ، المخطوط منها والمطبوع ، فوجدتُ أن هذه المراجعَ قد ظفرت بذكر كثير من (هجر العلم) استطراداً عند سرد الحوادث الحولية بأن فلاناً قد سكن (هجرة كذا) أو دعا الإمامَ الفلاني من (الهجرة الفلانية) أو أخربها ، كما ورد ذكرها أيضاً استطراداً في تراجم كثير من علماء الزيدية ، بأن فلاناً ولد في (هجرة كذا) ، أو سكنها ، أو أقام فيها بعضَ الوقت أو عاش بقيةَ عمره فيها ، أو أدركته الوفاةُ على أرضها . وورد ذكرها كذلك عند سرد مراحل حياة بعض العلماء بأنه دَرَس في الهجرة الفلانية ، أو ذهب إليها للتَّدْريس . فكان هذا حافزاً لي للاستزادة من تتبع مضان ذكرها .

وقد دَوَّنتُ هذه الفوائد وغيرها مما يتعلق بهجر العلم في كتابي (هجر العلم ومعاقله في اليمن) فذكرت الهجرة ومكانها وتحديدَه من أقرب المدن المشهورة ، وذكرت المسافة بينها ، وحالتها اليوم ، وكيف كان حالُها بالأمس ، ومن الذي أسسها هجرة إن عرف ، ومن ينتسب إليها من الفقهاء والعلماء

والرؤساء ، ومن دَرَس أو درَّس فيها ، أو سكن أو عاش بها ، أو نزل بها لفترة قصيرة ، وترجمت لهم ، وحرصتُ على ذكر تاريخ ولادتهم ووفاتهم ، وأبرز أعمالهم ، وذكر مؤلفاتهم إن كان لهم مؤلفات ، كما ذكرتُ عند التعريف بالهجرة نوع التهجير ، الذي مُنح لأهلها فهناك هجر مهجرة ، وهي التي يشمل التهجير البلدة وسكانها ومزارعها ومراعيها حتى حدودها الإقليمية من جميع الجهات ، وعدد هذه الهجر ليس بالكثير ، وبعضها اقتصر التهجير على سكانها فقط ، وهي الغالبة ، وهناك هجر ليس لها تهجير ، ومع ذلك فإنها تسمى (هجر) .

كذلك فقد بينتُ ما هو عامر من هذه الهجر ، وما هو دارس منها ، كما ذكرت أن هجراً قد اندثرت ، وجُهل مكانُها فصارت نسياً منسياً ، وأن بعض الهجر قد زال عنها أسبابُ التهجير ، وأنها صارت كسائِر القُرى الأُخرى فلا تتمتع بما كانت تتمتع به من قبل من حماية القبائل لها لزوال صفة العلم عنها ، إما لموتِ علمائِها ، وإما لانتقالهم منها إلى أماكن أخرى ، وربما كانت هناك أسباب أخرى لهذا التحول غير معروفة ، وحرصت

بعد ذلك على ذكر من بقي من العلماء أحياء في بعض الهجر ، ومَن منهم ما يزال يقوم بالتدريس لمن يقصده منَ طلاب العلم ، ولو كان ذلك نادراً ، وترجمتُ لهم .

معاقل العلم

هذا ولم يقتصر اهتمامي على ذكر (هجر العلم) الخاصة في الغالب بإتباع المذهب الزيدي فحسب ، بل تجاوزت ذلك إلى أن شمل اهتمامي مناطق اليمن كلها ، فقد وجدتُ في تاريخ اليمن وطبقات علمائه أوصافاً لقرى كثيرة منتشرة في سهولها وجبالها وبطون أوديتها كانت معاقل للعلم ، وقامت بأدوار مهمة في ازدهار الحياة الفكرية ، وكان لها أثرٌ كبير في ظهور كثير من كبار علماء الشافعية[1] الذين اشتغلوا بنشر العلم وتدريسه ، وتركوا ثروةً علمية هائلة من ثمرات أقلامهم في شتى العلوم والمعارف الإسلامية في الفقه والفرائض والحديث والتفسير

(١) ذكرت أفراداً من هؤلاء في هذا البحث على سبيل المثال عند ذكر قراهم ، ولم أذكر مصادر تراجمهم ولا مصادر من ذكرتهم من العلماء المجتهدين عند الحديث عن (هجر العلم) حتى لا أُثقل هذا البحث بالحواشي وقد ذكرتها في الكتاب .

والأُصول والمعـاني والبيـان في عصر الـدولـة الرَّسوليـة في اليمن ، وانتشرت كتبهم في ديـــار المسلمين ، ترجم لهم مــؤرخــوهم في طبقات علمائهم ، ونوهوا بذكرهم في تواريخهم .

وكانت (معـاقـل العلم) بمـا في ذلـك (ربــط العلم) من الكثرة بحيث لا يخلو مخلافٌ ولا عـزلـة ولا مِعْشـار[1] من وجـود عدد منهـا ، إلاّ أني اقتصرتُ على ذكر أشهرهـا بـالعلم ، وأكثرهـا وروداً في كتب التـاريـخ والتراجم ، التي كانت عـامرة بـالعلم والعلمـاء وطلبـة العلم لأن سكان هـذه المنـاطـق كلهـا كانـوا ـ ومـا يزالـون ـ يهتمـون بطلب العلم والتفقـه في الـدِّين أكثر من غيرهم امتثـالاً لقـول رسـول الله ﷺ : « من يرد الله بـه خيراً يفقهه في الدين » و « طلب العلم فريضة على كل مسلم » لذلـك فقد انتشرت فيها (معاقل العلم) على نطاق واسع ، وقد أوفيتها مـا تستحق من الـذكر والإشـادة في مواضعهـا من كتـابي (هجر العلم ومعاقله) .

وكانت أرزاق العلمـاء وطلبـة العلم فيهـا تُجْرى لهم من

---

(١) المخلاف أكبر وحدة إقليمية في اليمن ويتلوه العزلة ثم المعشار فالمسا .

الأوقاف الكثيرة التي يُحَبّسُها أهلُ الخير على المشاريع الخيرية ، التي يرجون من فعلها الأجر والثواب من عند الله ، وحسن المآب .

وقد وصفتُها وحددّتُ مكانها من أشهر المدن القريبة منها مع ذكر المسافة إليها ، وذكرتُ ما هو عامر منها ، وما اندرس كذلك ، ومن انتسب إليها أو قرأ بها ، أو كان له ارتباط مّا بها ، وترجمتُ لعلمائها ونوهتُ بأبرز أعمالهم وذكر مؤلفاتهم على نحو ما فعلتُ في (هجر العلم) وأضفتُ إليها القُرى الخاصةَ بأصحاب مذهب الإمام أبي حنيفة في وادي زَبِيد وغيره .

ومع هذا فإنني لم أكتف عند وصفي للهجرة أو معقل العلم بما قرأته أو سمعته عنها فحسب ، بل ذهبتُ إلى ما هو أبعد من ذلك فقد زرتُ كثيراً من (هجر العلم ومعاقله) وأخذتُ لبعضها صوراً لنشرها إن شاء الله في الكتاب الأم .

أما هذا البحث فأنا مدين لما ورد فيه من ذكر نصوص قواعد التهجير ، وتوضيح بعض مصطلحاتها إلى الأخ الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر شيخ مشايخ حاشد ، الذي دلني على مكان وجود بعضها ، كما يعود الفضل الكبير في حصولي على

كثير من قواعد التهجير المتعلقة بالقضاة بني العنسي الساكنين في جبل برط إلى الأخ العميد عبد الله بن ناجي دارس من كبار زعماء قبيلة (ذو محمد) الذي لبى رغبتي ، وأرسل إلى برط من أحضر لي صورها ، وأفادني بتوضيح معاني مصطلحاتها ، وساعدني في قراءة بعض تلك القواعد معه ، فله وللشيخ عبد الله بن حسين الأحمر جزيلُ الشكر وعظيمُ التقدير . وهناك إخوان أعزَّاء ، وأصدقاء كرام بذلوا جهوداً مشكورة في مساعدتي على فهم ما استغلق عليّ معرفة معناه من مصطلحات قواعد التَّهجير ، وإن كانت هناك بقية مما ذكرته من قواعد التَّهجير ، محتاجة إلى مزيد من الإيضاح . وأما فيما يتعلق بغير (هجر العلم) ، فمصدري في معرفتها المراجع الخطية منها والمطبوعة التي ذكرتها في حواشي هذا البحث وما توفيقي إلا بالله عليه وتوكلت وإليه أُنيب .

الْهِجْرَةُ

اصطلح علماء نجد[1] اليمن الذي انتشر فيهم المذهب

---

(1) لم تكن (هجر العلم) خاصة بنجد اليمن فحسب ، بل توجد حيث يوجد =

الزيدي على إضافة (هجرة) إلى اسم القرية التي يهاجر إليها بعض أهل العلم المشهورين ليجعلوها دار إقامة لهم ، ويتخذوا منها مكاناً لنشر العلم ، ثم لا تلبثُ أَن تكون تلك القريةُ مقصودة في أَغلب الأَحوال لطلب العلم فتشد إليها الرحال ، وتهوي إليها أفئدة الراغبين في تحصيل العلم .

= المذهب الزيدي في اليمن ، ففي مخلاف السليماني من تهامة (هجرة ضَمد) و (هجرة الدهنا) و (هجرة الشقيري) لأن سكان هذه الهجر كلهم كانوا زيدية المذهب حتى عهد قريب .

وقد تحمل بعض القرى اسم الهجرة ، ولو لم يكن أهلها زيدية مثل (هجرة بني الحدّاد) و (هجرة حمير) من مخلاف نَقِذ ، وكلاهما من وصاب العالي ، وأهله على مذهب الشافعي . ولعل تسميتها بالهجرة جاءت من الأمراء آل إسحاق الذين أُقطعوا وصاب وهم من أعيان الزيدية .

وقد تدعى بعض القرى (هجرة كذا) وهي ليست من مساكن العلماء لا في القديم ولا في الحديث مثل (هجرة زبار) من وادي مسورّ خولان الطيال (خولان العالية) وقد دُعيّت بالهجرة لأن النقباء آل (أبو حليقة) يسكنونها ، وهم في الأصل من بني جَبْر من خولان ، ثم هجرتهم قبائل خولان كلها ، وصارت لهم الرئاسة عليها في السلم وفي الحرب بعد أن سكنوا زبار .

وقد يختار بعضُ العلماء مكاناً قريباً من القرية التي يسكنُ فيها ليبني له داراً عليها فيستأذن أهل تلك القريـة ـ إذا لم يكن من أهلها ـ ليسمحوا له بالبناء حتى يتفرغ للقيـام بواجبـاتـه من العبادة والتعليم والافتاء والإصلاح بين النـاس بعيـداً عن صخب مجتمع القبائل ، فيهبوا له ذلك المكان تكريماً لـه واعتزازاً بوجوده بين أظهرهم . ويمدونـه بمـا يستطيعون من عون ومسـاعـدة حتى يكتمل بناءُ داره ، ويقيمون له مسجداً مجاوراً لـداره ، ثم يتتـابع البنـاء هنـاك لمن يلتحـق بـه من العلمــاء وطلبــة العلم الــذين يتوافدون على تلك البلدة حتى تكبرَ وتصيرَ بلدةً خـاصـة بـأهل العلم فتُـدعى حينئـذ (هجرة كـذا) مضـافـة إلى اسم القريـة[1]

---

(1) مثـل (هجرة شـوكان) على سبيـل المثـال ، فَشـوكان : قريــة كبيرة من بني خَيْشَنَـة ثم من بني سحَـام إحـدى بطـون خَـولان الطيــال (خـولان العالية) في مشـارق صنعـاء ، ثم استحـدث بجوارهـا هجرة صغيرة بنـاهـا أسلاف شيخ الإسلام الإمـام محمـد بن علي الشـوكاني المتـوفى سنـة ١٢٥٠ هـ فسميت (هجرة شـوكان) وكـذلـك (هجرة حمـدة) من عيـال سريحـل و (هجرة عرام) من مخلاف زبيد وأعمال ذمـار ، و (هجرة منقـدة) من مخلاف منقدة وأعمال ذمار ، و (هجرة عرثومان) من الشاحذيـة وأعمـال الطـويلـة ، وهي التي تُعرف اليـوم بهجرة الشـاحـذيــة . وقــد تسمى =

المجاورة لها التي نشأت في كنفها . قد تنشأ الهجرة نادراً بأيدي أهلها ، وذلك كما جاء في (أخبار الزيدية) لِمُسَلَّم بن محمد اللَّحجي ، فقد ذكر أن عليان بن سعد البحيري خرج بجماعة من الزيدية (المطرفية) ممن لهم عقل وبصر وهمة في حياة الحق وعلم ، وأنه قال : لقد أخذنا نفقاتنا مصرورة معنا ، ثم لا تقبل من أحدٍ قِرًى ولا رِفدا ، ولا نكلفهم مشقة ، ثم نختار من بلادهم مكاناً نعمره ونجعله مسكناً بين أمنعهم منعة ، وأو فاهم ذمة فإذا رأوا غنانا عنهم في دنيانا ، وحاجتهم إلينا في دينهم انتفعوا وقوي التأثير .

والهجرة لها مدلولان أحدهما لغوي ، وهو كما ورد في (تاج العروس) في مادة (هَجَر) بلفظ : « والهجرة ـ بالكسر والضم ـ الخروجُ من أرضٍ إلى أرض وقد هاجر » ، وقال الأزهري : « وأصل المهاجرة عند العرب خروجُ البدوي من باديته إلى المُدن ، يقال : هاجرَ الرجلُ إذا فعل ذلك ، وكذلك

= (الهجرة) باسم مؤسسها مثل هِجْرة حَسَن سَلْمان من مخلاف وادي الحار وأعمال ذمار .

كلُّ مُخلٍ بمسكنه مُنتقلٍ بين قوم آخرين بسكناه ، فقد هاجرَ قومهُ ، وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشأووا بها لله ، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة ، فكل من فارق بلده من بدوي وحضري أو سكن بلداً آخر ، فهو مُهاجر ، والاسم منه الهجرة ، قال الله عز وجل ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ﴾[1] .

والمدلول الآخر اصطلاحي[2] وهو خاص بأهل اليمن ، وقد عرّفه القاضي العلامة محمد بن حسن الشِّجْني المتوفى سنة ١٢٨٦ هـ في كتابه (التقصار في جيد زمن علامة الأقاليم والأمصار)

(١) النساء : ١٠٠ .

(٢) وللمدلول الاصطلاحي معانٍ أخرى ، فالهَجَر في اللغة الحِمْيَرية : القرية ، أو المدينة ، والهَجَر : الغلاق ، وهو ما يفرض على الجاني من عقوبة لما صدر منه في حق غيره ؛ إمّا بالسِباب ، وإما بالهجوم على شخص ، وإن حيل بينهما أو ما حصل الاعتداء ، أو بهما معاً فيلزم على الجاني تهجير المجني عليه بتقديم ثورٍ أو خروف بحسب حَجم الخطأ إلى باب بيته إرضاءً له . وهذا من الأحكام العرفية ، وكأنه سمي غلاق لأنه يُغلق باب الخلاف .

استطراداً في ترجمة علي بن محمد الشوكاني ـ والد الإمام الشوكاني ـ فقال : « فإنها ـ أي الهجرة ـ تُطلقُ على كل مَحَلٍّ بين محلات القبائل إذا كان مهجراً بينهم عما يعتادونه من أسلاف القبائل وقواعدهم فيما بينهم ، وإنما يكون ذلك للمحلات المأهولة بالعلم والفضل والصلاح فيمتازون عن أحوال القبائل وأعرافهم ، ويكون لهم بذلك التهجير احتراماً وتعَظِيماً » .

وإذا كانت الهجرة قد عُمِرَت وسُكِنَت بعلماء ليسوا من أهل تلك المنطقة فإنه لابد من الالتزام بشروطٍ تُكْتَب حال نشأت الهجرة ، كما ذكر ذلك مُسَلَّم بن محمد اللحجي في كتابه (أخبار الزيدية) حيث قال : « وقد كان لأهل السَّبق على المكان بوقش شروطٌ معروفة على من يجاورهم ، وذمم من القبائل التي حولهم من بني شهاب وبني مطر وجربان وغيرهم على النصرة لهم على من يتغلب عليهم في دارهم مّمن يكرهون جوارهم » .

واشتق من لفظ (الهِجرة) التَّهجير ، وهو اتفاق ذوي الشأن من رؤساء القبائل وزعماء العشائر على جعل القرية التي يسكن فيها العلماء والفضلاء وأهل الصلاح والتقوى (هجرة) بإصدار وثيقة تسمى (القاعدة) أو (التهجير) ، وتتضمن حماية

القبيلة أو القبائل لسكان الهِجرة من الفقهاء والعلماء ورعايتهم وكفالتهم لها ، ويكتب المُهَجِّرون علاماتِهم أختامهم على تلك الوثيقة ، وكذلك علامات الشهود أو أختامهم ، ويعلن[1] عن هذا التهجير في مجتمعات القبائل كالأسواق[2] الأسبوعية العامة ، بأن قبيلة كذا أو القبائل الفلانية قد جعلت القرية الفلانية هجرة أرضاً وسُكاناً ، إذا كان سكانُها كلُّهم من أهل العلم وممن له علاقة بهم ، ويقال لها في هذا الحال : (هِجْرَة مُهَجَّرَة) وهذا أعلى درجات التهجير .

أما إذا كان سكان القرية خليطاً من أهل العلم وغيرِ أهل العلم ، فإن التَّهْجيرَ يقتصر على أهل العلم ومنازلهم فقط .

وقد تُهَجَّر بعضُ الأُسر[3] إذا اشتهرت بالعلم والفضل

---

(١) يسمى هذا الإعلان (الظَّاهرة) ويتولى إعلان (الظاهرة) دَوْشان القبيلة ، وهو الذي يقوم بنشر أخبارها في المناسبات كالأعراس والمآتم وغيرهما من المناسبات ، فيصعد إلى مكانٍ مرتفع حتى يراه الحاضرون جميعاً ، ثم يقول بأعلى صوته : يا من سَمِع الظاهرة ، ثم يذكر البلاغ المطلوب إعلانه للناس .

(٢) الأسواق الأسبوعيةُ مهجرة من القبائل المحيطة بها .

(٣) مثل القُضاة بني العِكَام الساكنين في هجرة (مَرْقَب) في المراشي وفي =

والصَّلاح ، ولها أثر كبير نافع في مجتمعها لمسارعتها ومبـادرتهـا إلى حلّ الخـلافـات بين القبـائـل ، وحسم النزاع بين المتشـاجرين ، والسعي لوقف الحرب بين المتقـاتلين ، وإظهـار الرغبـة لإحـلال الـوئـام محـل الخصـام من غير محـابـة لجـانب على جـانب آخر ، متحريـة في ذلـك الصـدق والعـدل والإنصـاف بين الأطراف المتنازعة .

= هجرة (رَجُـوزَة) في بَرَط فـإنهم مهجرون من بطـون بكيـل كلهـا ، ومن بطون حاشد ، ومن قبائل صَعدة : سَحَار وجمـاعـة وهَمْـدان وخَولان بن عمرو وغيرها . ويقال : إن حدود تهجيرهم ـ كما أخبرني الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ـ يمتدُ من التُربة الحَمْراء في أطراف الربع الخـالي إلى أطراف تهامة غرباً ، ومن حدود نجران شمالاً إلى البون جنوبـاً ، وكلمتهم مسموعـة في هذه القبائل كلها ، وحكمهم نافذ فيها ، وإذا حدثت حربٌ بين قبيلتين فإنهم كانوا يتولون قيادة قبائلهم في غزواتهم ، ويتصـدون للقتـال بـأنفسهم إذا كان العـدو من غير القبـائل التي هجّرتهم ، وكان لهم صولات وجـولات ضد بعض الأئمة المتأخرين ، ويأتي في الدرجـة الثـانيـة بعـدهم القضـاة آلُ العنسي أهل برط وهم يرجعون في الأصول القديمة إلى مخلاف عنس ذمار . وقـد تهجر بعضُ الأسر المشهورة ، ولو لم تكن من أهل العلم مثل آل الأحمر مشايخ حاشد فإنهم مهجرون من رؤساء بطون حـاشـد كلهـا ، ومن بعض بطون بكيل ، وكذلك آل حُبَيْش نقباء سُفيـان فـإنهم مُهجّرون من بطون بَكِيل ، ومن بعضِ قبائل حاشد .

قواعد التَّهجير :

تتضمن قواعد التهجير التزامَ القبيلة أو القبائل بحماية (هِجَر العلم) التَّي تقع بين أَظْهُرهم ، وحماية أهلها وأموالها من كل عدوان يحتمل وقوعه ، وكذلك حماية أُسَر العلم المهجَّرة من أي مصدر للعدوان . وتتكفلُ القبيلةُ بتوفير الأمان لمن هَجَّرَتْهم ، وتحرص على سلامتهم في مسراهم ومغداهم ، وفي إقامتهم وظعنهم داخل حدود القبيلة أو القبائل المُهَجِّرة لهم ، وتمنعُهُم مما تمنع به نساءَهم وأطفالهم وأموالهم . وإذا حدث أن اعتدى أحدٌ على أحد من سكان (هجر العلم) فإنه يحكم عليه بأربعة أضعاف العقوبة التي يحكم بها لو اعتدى على أي شخص آخر من عامة الناس .

أما إذا حدث أن اعتدى من خارج القبائل المُهَجِّرة على أحدٍ من أهل العلم المُهْجَّرين فإن القبيلة المهجِّرة تكتبُ إلى القبيلة التي ينتمي إليها المُعتدي محتّجةً عليه بما صورته : « كافة رجال القبيلة الفلانية حياكم الله ، بلغ إلينا ماصدر من صاحبكم فلان إلى هِجرتنا فلان ، وأوجعنا ذلك وآلمنا فحكما داعيين[1] لكم

(١) داعيين : ندعوكم لتحكموا فيما صدر من صاحبكم من خطأ .

فيما صدر من صاحبكم إلى هِجْرتنا ، فإن يصل منكم وفا وإلا فنحن واصلين[1] إليكم ولا نظن أنكم تقصروا » . فتسرع القبيلة الأخرى إلى استرضاء القبيلة المهجّرة بما يتفقان عليه وإذا حصل مماطلة من القبيلة التي ينتمي إليها المعتدي فإن القبيلة المهجّرة تثأر لنفسها ، وقد تنشأ الحرب بين القبيلتين .

كذلك فإنّ (هِجَر العلم) مصانة مما يقع على القبيلة التي توجد فيها الهِجَر من غزوٍ خارجي لا قِبَل لها بصده ، وإذا استعْصَت هذه القبيلةُ على الدولة أو ارتكبت هي أو جماعات أو أفراد منها أخطاء تستحق عليها العقوبة فأرسلت إليها الدولة جنودَها أو سلطت عليها قبائل أُخرى فيما يعرف بالخِطَاط[2] لتأديبها فإن سكان الهِجَر لا ينالُهم في مثل هذه الأحوال سوء ولا مكروه .

---

(١) واصلين : قادمين ، وفيها معنى التوعد والتهديد إذا لم ينصفوا .

(٢) الخطاط : بقاء الجنود في بيوت الأهالي وإيواؤهم والإنفاق عليهم مدة يحددها الحاكم ، ولا يرتفعون من عندهم إلا بعد أن يتحقق الغرض الذي أُرسلوا من أجله ، وبعد أن يُدفع للجنود أُجورهم عن البقاء عن كل يوم مقداراً معلوماً من المال .

وإذا كان لأهل الهِجَر يدٌ فيما حدث من قبيلتهم فإن القبيلة تَتَحملُ عنهم ما يَخُصُهم من غُرْم مهما كان الأَمر ، وذلك تقديراً وتعظيماً واحتراماً للعلم وأَهله ، لأن القبائل كانت تعتبر (هِجْرةَ) العلم حَرَما مُحرَّما فلا يُسمحُ أَن يقع فيها اعتداء من شخص على شخصٍ آخر ، وإذا أَشهر أحدٌ سلاحَه فله عقوبة معينة ، كما سيأتي بيان ذلك ، كما لا يُسمحُ بدخول وسائل اللَّهو والطرب إليها ، ولا يُطلب من أَهلها المشاركة في التجنيد عند احتياج الدولة إلى فرض التجنيد الاجباري على القبائل في حال قيام حرب .

تلك هي أَهم خصائص التهجير الَّتي تمنحها القبيلةُ للهجرة وسكانها في قاعدة تهجيرها لها ، وهناك حقوق وواجبات على أَهل (هِجَر العلم) للقبيلة التي منحتها الحماية والرعاية ، ووفرت لهم الأَرزاق والأَقوات ، وجعلت لهم تلك المكانة العالية التي تبوؤوها . فعاشوا في ظل حمايتها آمنين مطمئنين ، وهي أَن يتحلوا بالصدق ومكارم الأخلاق ، وأَن يسيروا في الناس سيرة حسنة ، وأَن لا يصدر منهم ما يؤذي ويؤلم من فُحش القول وسوء العمل بما يسيء إلى علمهم ومقامِهم ، وأَن لا يأخذوا

ماليس لهم فيه حق . وإذا صدر من أحد العلماء أو من أهله أو من أقرب الناس إليه إلى القبيلة نفسها أو إلى أحد أفرادها ما يؤذي فإنه يحكم على المعتدي منهم حكماً مربعاً أي أربعة أضعاف الحكم على الرجل غير العالم ، كما هو الحال في من يعتدي على المهجَّرين أنفسهم ، وقد تقدم بيان ذلك .

عينات من قواعد التهجير :

هذه عينات من قواعد تهجير مشايخ القبائل ورؤساء العشائر لأهل (هجر العلم) نُثبتُها هنا ، كما وردت في أُصولها بلهجاتها ومصطلحاتها العامية وبأُسلوبها وأَخطائها النحوية كالجمع بين الفاعلين وعدم مطابقة الضمائر لمدلولاتها والصفة لموصوفها ، ونصب خبر إنّ وأَنّ وإبطال عمل كان وأَخواتها في كثير من الأَحوال ، واستبدال الوجيه بالوجوه : جمع وجه ، إلى غير ذلك من الأَخطاء الشائعة الكثيرة التي لا تخفى على كل ذي فطنة ومعرفة بقواعد الإعراب ، وذلك مراعاة للحفاظ على الأَساليب التي كتبت بها .

القاعدة الأُولى من قواعد التهجير

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله :

أما بعد : حمد لله حق حمده ، والصلاة على سيدنا محمد وآله فإنهم حضروا رجال ذو عَمرو ، وتضامنوا أنهم مُجددِين القواعدَ الأولة[1] لآل القاضي علي[2] بن قاسم العَنْسِي في هجرهم المباركة ، وحُرَمِهم[3] المعروفة ، وهي (هجرة الرَّضَمَة)

(١) الأولة : السابقة .

(٢) لا نعرف شيئاً عن حياة القاضي علي بن قاسم العنسي ، ولا تاريخ وجوده ، ولكنه من أعلام المئة الحادية عشر للهجرة . انتقل من (هجرة عِيان) حينما أخَربها الإمام القاسم بن محمد إلى بَرَط . وكان آل العنسي قد سكنوا (هجرة عِيان) من عصر الإمام عبد الله بن حمزة . راجع (بهجة الزمن) للعلامة يحي بن الحسين .

(٣) حُرَمهم : جمع حُرمة ، وهي الأماكن التي يقصدها آل العنسي ، ويذهبون إليها .

و (هجرة السَّوادة)[١] وأَن من دخلها فهو آمن ، ومن فعل فيها شيء من النُكَت[٢] فإنه مَرْبوع[٣] عقَائر[٤] وكساً[٥] إلا ما كان عمد فلا يُنَقِّيْهم[٦] الاتَقاء ، والُمتَّهم في الحَرم يُؤدب بعقير وكُسْوة ، ومَن هَدّ[٧] في الحُرَم أو سلَّ جنبيّته ، أو قلب بُنْدُق[٨] فحكم

(١) هجرة الرَّضمة : في الشمال الغربي من سوق العنان في جبل بَرَط ، وهجرة السَّوادة : في غرب السُوق أيضاً .

(٢) النُكت : جمع نُكتة ، وهي في اللغة النقطة السوداء في الأَبيض ، أو البيضاء في الأسود ، والمراد بها هنا : الأخطاء السيئة .

(٣) مربوع : أي أَربعة أَضعاف ، والمعنى أنه يحكم على من يرتكب جرماً بأَربعة أَضعاف العقوبة المستحقة عليه فيما لو ارتكب الجُرم في غير الهجر .

(٤) العقائر : جمع عِقيرة ، وهي ما يلزم الجاني في حق غيره أَن يقدمه من الجمال أَو البقر أو الغنم ليُذبح أمام باب المجني عليه ليصفحَ عنه ، ويكون مقدارُ ما يُذبحُ بمقدار الجناية أو الخطأ ، وبمقدار المرتبة الاجتماعية للمعتدي والمعتدى عليه .

(٥) الكسا : جمع كُسوة وهي الثياب الجديدة التي يلزم بها الجاني تقديمها للمجني عليه .

(٦) يُنقيهم : من النقاء ، وهو إزالة الخطأ عن الجاني .

(٧) هدّ : أقدم على الاعتداء بالضرب أو بالطعن أو أشهر سلاحه ، وهي التهديد .

(٨) سلّ جنبيته : استل خنجره من غمده بقصد الاعتداء بالطعن ، وقَلَب =

الهِجْرة عَقِيْرَيْن ورأسين غَنَم على مـا في القـواعـد . ومن كَسَر الشريعـة[1] أو أبطل بحقٍ واجب ، ولم يتضع (يَخضع) لحكم الله في برَط والمراشي فإنهم أعوان عليه . وأن أمر القـاضي علي مـاضي (ماضٍ) على سبيل الاستمرار آرث ومـا ورث[2] ، مـادون أمرهم معترض ، ولا يحـول دونـه حـائـل ، ولا جـار بَيْت ، ولا رَفيـق جَنْب ولا زاد بَطن[3] ولاشيء من العِرض ، وأنهم منكرين

= البندق : حَوَّل المُعتدي وضعَ البُندقية إلى حالة استعداد لاطلاق النار منها على المُعْتَدى عليه .

(١) كسر الشريعة : رفض قبول حكم الشرع .

(٢) آرث وماروث : وارث وموروث .

(٣) رفيق جنب : هو الذي يطلب الحمايـة من غيره في الطريق لتـأمينـه من احتمال وقوع عدوان عليه من شخص آخر يتربصُ به للأخـذ بثـأره منـه ، وزاد البطن ، وهو الذي يأكل عند شخص يُكنُّ لـه عـداوةً شـديـدة لثـأر عنده ويبحث عنه للانتقام منه فإذا فوجئ به في منزله وأكل من طعـامـه فإنَّه أمن من شره لمدة ثمانية أيام ، ويقال لهـذه الحـال متعـة أي إنـه يتمتع بحماية خصمه للمدة المذكورة ، وإذا لم يتيسر لـه الأكل عنـده ولكنـه شرب فإنه يتمتع بالحماية ليوم واحد ، وكذلك إذا وجـد عـدوه وجـاء من خلفـه وسلم عليه فرد عليه التحية بمثلها أو أحسن منها قبل أن يعرف أنـه عـدوه فإنه يتمتع بالحماية ليوم واحد ، والمعنى أنه لا يمنع من قبول حكم آل القاضي على أي شخص ، ولو كان ممن تنطبق عليه هذه الصفات كلها أو بعضها .

المُنْكَر ومزيلين له ، وأنهم على من ظهر المُنْكر عنده أعوان قاضي أو غيره . وأن جاه القاضي علي ماضي ، وأن رفيقهم آمن لو عليه من الحِجَج [1] ما عليه ، وأن من فعل شيء من النُكَت أو من الأمور التي لا تصلح في (الهجرة) أو جانب أهلها أو في ما كان مما يلوذ بأهل الهجرة كائناً من كان صغير أو كبير ، أو عزيز أو هين أو قاضي أو غيره يكون من آل القاضي علي أو من عَظْمِهم أو من خارج فإن من فعل كان في وجوه ضمناه (الهجرة) وكانوا آل القاضي علي ثقة قول من قالوا هو الغَريم ، هذا في المَهْمِي والمتهم [2] ، وأما ما ظهر فعند أهل الهجرة تربيعة ، ولا ينقيهم إلاّ نقا [3] ولا يقبل قول المبطل [4] من القضاة على المحق منهم المُنْصف من نفسه بالشريعة بل يُجْبَر المُبْطل بالقَنُوع

---

(١) الحجج : جمع حِجَّة بكسر الحاء ، وهي الخطأ أو الذنب .

(٢) المَهمي : الخفي ، والمتهم : الشخص الذي لم يثبت عليه أي خطأ .

(٣) ولا يُنقيهم الا نقا : أي لا يمحو عنهم الخطأ ، ويزيل عنهم وَصْمَة العار إلاّ رجل طاهر الذيل ، وهو ما يعبّر عنه بأنه أبيض الوجه .

(٤) المُبْطل: المتنع من قبول الحق على نفسه .

والاتضاع للشريعة فيما نشأ بَيْن القضاة بَيْن ، ولا له (هِجْرَة) حتى يَتَّضِع للحق[1] .

وأما قواعد (الهِجْرة) فعل عوائدها[2] القديمة صحيحة في وجوه أهلها لا تُقْرَن بشريعة ، ولا يقبل فيها معروض ، بل على ما ذكر في هذا . ومن فعل في الهِجْرَة شيء من النُكت من القضاة فكان مثار[3] الهجرة عليه حق ، ولا له أَخ ، ولا صاحب من القُضاة وكان رسول آل القاضي آمن أين صار ، ومقام الشَّرع لا فيه هدّه ولا خُصْمَة وأَنَّ الجيرة[4] لهم إذا تجورهُم[5] ومَنْ تجورَّ منهم فلا عليهم جِيْرة ويوم أَحد يُعَيبهُم[6] في رفيقهم وسَيَّرَهم فكان النقا على الهِجَر وفي وجوه الضُّمنا .

---

(١) يتضع : يَتخضع .

(٢) عوائدها : عاداتها .

(٣) مَثار : الإثارة .

(٤) الجيرة : الجوار .

(٥) تجوّرْهم : استجار بهم ، أو رغب في جوارهم .

(٦) يُعَيّبهْم : من العيب وهو الغَدْر .

ثم ساقت قاعدة التهجير أسماء الضُّمنا عن أنفسهم وعن قبائلهم ، ثم أضافت ما لفظه : وما وقع في جانب القضاة فهو وجيه [وجوه] الضِمنا على ما ذكر في القاعدة خشر[1] ، ومن فِسِل[2] من الضُمَنا والعياذ بالله ـ كان بَقيَّة الضُمَنا الجميع عَود في النقا ، ولا نقاضِمِيْن ينَقِّي ضَمِينْ[3] وكان القضاة عند الأبيض[4] وتقاطعوا الجميع على أن هِجَار[5] آل القاضي علي بن قاسم لهم أين ما كانوا ، ولا بَرَا يبْرِي إذا أَحد من الأخماس ابْتَرى من الهِجْرة كان بَراه صحتها في باقي الأخماس[6] حسب عُرفِهم ومَلزَمهم .

---

(١) خَشَرَ : أي أن التعهد عام على جميع الضمناء .

(٢) فِسِل : تخلى عما التزم وتعهد به .

(٣) ولا نقاضمين ينقى ضمين : أي إن الضمين المعتبر لا يستطيع أن يبرئ ضمينا آخر مما لحقه من وصمة العار .

(٤) الأبيض : يُكنى به عن الشخص الذي لا يخيب في أداء ما التزم به .

(٥) هِجَار : جمع هِجَرة .

(٦) الأخماس : هي أخماس (ذو محمد) وهم خميس ذو زيد بن سُوَيْدَان بن محمد بن غَيلان ، وخميس ذو موسى بن سُوَيْدَان . ثم آل أحمد بن سويدان ، وهم ثلاثة أخماس خميس آل أحمد بن كَول بن أحمد بن سويدان ، وخميس آل صلاح بن كول . خميس آل دُمَيْنة بن كول .

وهذه القاعدة تجديد للقاعدة الأوله [الأولى] والضمان الأَول على حَالِه ، وهذه زيادة في التأكيد بحضر الشهود : شهد بذلك محمد بن جميل زَيدان ، والحاج هادي القَحْم السُفياني والشيخ صالح محمد زياد المَراني[1] والقاضي أحمد بن محمد حسين الْعَنسي ، والقاضي حسين بن أحمد بن عزّ الدين بتاريخه ربيع الآخر سنة ١١١٢ هـ .

وهذا منقول عن خط الصنو القاضي العلامة أحمد بن حسين بلفظه : وأنا شاهدٌ على النقل ، وضمان الضُمنَا المذكورين وقت كتابة الصنو في مجمع كبير في (هجرة الرضمة) وبه إلحاق بخط القاضي أحمد بن علي بن محمد في قفا[2] القاعدة بخط يده أن من أدخلوا آل القاضي علي في الضمان الهجر للقضاة فإن الضمان والهجرة لهم بتاريخه . هذا منقول من القاعدة اللفظة باللفظة من غير زيادة ولا نقصان فليثق بذلك كل واقف عليه ، وبالله الثقة والحول والقوة ، وويل ثم ويل لمن خالف هذه القاعدة

(١) المراني : نسبة إلى قرية مرانة وهي في المراشي تحت جبل تان .

(٢) القفا : ظاهر الورقة .

الموضحة المبسوطة للقضاة الشيعة ، فما بعد الحق إلا الضلال والنكال .

نُقلت في محروس (هجرة الرضمة) المباركة يوم الجُمعة المباركة لعله السادس عشر شهر جمادى الآخرة سنة ١١٩٨ كتبه الفقير إلى الله السيد يوسف بن محسن لطف الله به .

وكانت حدودُ الهجرتين المباركتين حسب هذه حدود (هجرة الرضمة) قبلياً [شمالاً] وادي الغرابين ، وغربياً الجربة المسمّاة المخلابة ، ويمنا (جنوباً) وشرقياً أملاك آل عُمَير بن علي .

وحدود (هجرة السوادة) قبلياً وشرقياً الطريق المارة إلى السوق ، والوثن المؤسس المعلوم ويمانياً (جنوباً) وادي الغرابين المحيط بأملاك القضاة .

يعلم ذلك كل واقف عليه بتاريخه المتقدم . كتبه الحقير يوسف بن محسن لطف الله به منقولاً من الأصل اللفظة باللفظة وبعد هذا ما لفظه : الحمد لله ، وكذلك بخط القاضي العلامة

يحيي بن يوسف مرقوم ظاهر القاعدة المذكورة ما لفظه : حضر الذي حضر من قبائلنا ذو محمد ، وأجازوا الضمان باطن القاعدة بعد أن جرت النكتة من الشامي الذي قد كان أخذ الفرس وردّه النقيب ناجي وقبائله ذو موسى ، وردّ صاحب الحجَّة إلى عند آل القاضي علي بن قاسم ولا ثبت عليهم المَلْزَم ولا سَيِّره ولا رِفْقَه ولا عرضه حسبما ذكر باطن القاعدة ، وأدوا العقائر والأحكام للهجر جميع ، وستر الهجر جميع لآل القاضي علي بن قاسم وعقيرة التُهَمة والكسوة التي لا تبان (تظهر) إذا حلف كانت على ذو محمد بحضرة أحسن بن عكمان وأحمد بن علي الخيواني ، ومحمد بن علي بن عبد الله ، ومحمد بن علي بن مهدي ، وحسين بن عبد الله ، ومحمد أبو جشاش ، وعدة من الناس ، وشهادة القاضي أحمد بن حسين بن شمعة بخط يده بتاريخه غرة ربيع الآخر سنة ١١٦٢ كتبه يحيي بن يوسف لطف الله به وبعنوان القاعدة ما لفظه : هذا رقم (نص) القاعدة كما ذكر بصفتها فيعتمد بتاريخه يوسف بن محسن لطف الله به .

وقاعدة أخرى ، هذا لفظها : الحمد لله تعالى : اطلعت على قاعدة بيد المتمسكين بها من القضاة آل علي بن قاسم العنسي

عليها طوابع (أختام) وعلائم من (ذو محمد) حكمها (نصها) :
هذا وجيهنا بيد قضاتنا أن قاعدة الهجرة حسبما تضمنت عليه وحسب ضمان أبوتنا (آبائنا) وجدودنا فيها بيدهم تجددها الليالي والأيام ، وكانت في وجوه أهل الشهر . تدور الهجرة مع السُّوق إذا وقع شيء في جناب القضاة وهجرتهم فكان مولى[1] الشَّهر يقوم في ذلك ، وكانت هذه تجدود [تجديد] الهجرة وضمانها على ما فيها صحيحة ما يخربها شيّ إلى وجيه ضمنائها حسب قاعدة القاضي علي العنسي ، وهذه بولاء (ذو محمد) إلى وجيه أَهل الطوابع غصَّابة على أَهل الشهر أَنهم حاملين هجرتهم والطوابع غصّابة .

صحَّت هذه لأَهل (السوادة) و (الرضمة) بتاريخ شهر القعدة سنة ١٢٦٧ .

وكان من اُبتَرَى (أعلن التخلي عما التزم وتعهد به) من

---

(١) كانت أخماس « ذو محمد » تتناوب على حكم السوق والطرقات المؤدية إليه فكل خميس من أخماسها يتولى شؤون السوق وحفظ الأَمن فيه لمدة شهر ، ويسمى (مولى الشهر) .

هذه فكان مولى الشهر يُدَرِّكه [يلزمه] ، ومولى الشهر مُعَنَّى [مُلزم] بذلك ، ويوم ما يقوم مولى الشهر فكان الأخماس الأخرى يردوه المَحْلَف يقوّموا آل أحمد بن سويدان ، وآل أحمد بن سويدان يقومّوا المحلف [وهم ذو زيد وذو موسى][1] .

وهذا بخط عبد الله بن حسين بن ثَوابة عليها طابع المذكور ، وطابع محمد بن دمَّاج ، وطابع حسن بن مفلح بن عمير طَشَّان ، وطابع أحمد بن مقبل البحر ، وطابع من آل أبو رأس ما افتهم [أي لم يفهم اسمه] وتحته علامة حسين بن علي بن جمعة ، وطابع أحمد بن ناجي بن مَيْنَه ، وطابع محسن بن حسن بن صوفة ، وعلامة يحي بن قاسم مِرْوِس ، وعلامة أحمد بن ناصر الرِزْيَقي ، وعلامة صالح بن حسين المعيضي ، وطابع سرور بن منصر بن جزَيْلان ، وطابع محمد بن يحي بن أحمر الشَّعر ، وعلامة محمد بن قايد بن عزيز شَمْلان ، وعلامة حسين بن هادي المعالم ، وطابع كأنه محمد بن حسين شِذَيَّان ، وعلامة صالح بن جلهم ، وعلامة عبد الله بن أحمد

(١) المحلف هم ذو زيد وذو موسى : فقد تحالفا على بقية الأخماس الثلاثة .

قُمْشِع ، وعلامة مرشد بن علي الشيبة وطابع ما افتهم [أي لم يفهم الاسم] وعلامة علي بن حسين قَملان المنصوري ، وعلامة أحمد بن حسين مَدْشَل .

وتحت الطوابع والعلائم : صحت هذه لآل علي بن قاسم جميع الساكنين في الرضمة والسوادة والمتنقلين فيها بخط عبد الله بن حسين ثوابه في مجمع ذو محمد بتاريخه . ونقل الأصل بقلم الحقير أسير الذنب والتقصير علي بن عبد الله بن حسين ثوابه غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين .

وكان النقل مثل الأصل من غير زيادة ولا نقصان بعد التحري والتقصي . وتاريخ النقل ١٨ شهر جمادى الآخرة سنة ١٣١٤ علي بن عبد الله ثوابه وبعنوانه ما لفظه : الحمد لله يعتمد هذا النقل المطابق بخط النقيب الجمالي علي بن عبد الله ثوابه عن قلم والده الحاج الفخري عبد الله بن حسين ثوابه فله حكم أصله . يعلم ذلك بتاريخه شهر شعبان سنة ١٣١٤ وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، وعليه توقيع المهدي(*) لدين الله لطف الله تعالى به .

(*) هو المهدي محمد بن قاسم الحوثي .

القاعدة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

لما كان يوم الخميس لعله رابع يوم في شهر جماد أول من سنة سبعين وألف سنة حضر من سنذكر أسماءهم في هذه القاعدة من القضاة وآل صلاح بن كَوْل والمعاطرة ، وهم القاضي علي بن حسين ، والقاضي حسن بن حسين ، والقاضي صالح بن حسين ، والقاضي محمد بن حسين العنسيون . وتواثروا[1] لقُضاتهم آل حسين بن قاسم ، صلاحي ومَعْطري ، أَنهم قضاتهم وهجرتهم ، وجعلوا إليهم هجرة محترمة ، وأَنهم مُهَجَّرون

(١) تواثروا : وضعوا أساس اتفاق بينهم ، والكلمة من وثر أي وضع أساس البناء الذي يقال له الموثر .

مُعَظَّمُون مُحتَرمُون هم وهجرتهم ، وأنهم قضاتهم ثَرَى وثُرَّيا[1] ، وحَـدّ[2] هجرة محلهم من الغرب البير المسماه (الجديرة) ومن الشرق (طرف الطويلة) ، ومن اليمن (دار الشَّقْمَا) ومن القبلة (رأس السبيل) الخارج إلى المعاطرة .

ومن خرج إلى أي أوطان آل صلاح بن كول ، أو أي أوطان المعاطرة من أهل الهجرة وعمر له بيتاً أنه مَجلل محترم ، وأن له حَرَم مثل الهجرة في (السَّرَعة)[3] وأن ما جرى في الهجرة من فعل أو هَدَّة كانت بعيب الضُمنا الآتي ذكرهم ، وكانت في وجيههم العقائر جزور حسبما سيأتي ذكره ، ويفصله مثار يظهر وكِساها ، ومن فعل شيء مما ذكر فلا له جار ولا عُروة[4] ولا اعتراض فيما بينهم ، وأنهم مهجرون ذلك . ومن فعل في هذه

---

(١) ثرى وثريا : كناية عن مدة حياة البشر على وجه الأرض .

(٢) حد هجرتهم : أي حدودها .

(٣) السرعة : هجرة في برط .

(٤) العروة : ما يقدم لأهل العرس من أقربائهم أو أصهارهم من غنم وحب وسمن حينما يحضرون للمشاركة في هذه المناسبة .

الهجرة شيء فعليه المثار[1] والأحكام في ذلك . وما وقع في آل القاضي حسين بن قاسم أو في أموالهم من أي القبل أو من صلاحي أو معطري كان في وجيه الضمنا ، العَمْدَة[2] مربعة ، والخاطية برأسها[3] ومن فعل خاطية أو عَمْده إلى ما ذكر كانت حمله هو ولحمته في وجيه الضُمنا .

ومن جرى منه فعل كان هو المُقدم بالقيام بحجته في وجيه ضُمَنَاه . وكان في وجيه الضُمنا تنفيذ الشريعة المطهرة أعزها الله تعالى وتهجير مقامها ، وتجليله في الهجرة ، وأين مازال في بلاد أهل الهجرة صلاحي ومعطري وإن خرج إلى غير ذلك استحكم لنفسه فيما يهجر مقامه ، وينفذ حكم الله ، والقضاة مقررون على الشريعة لهم وعليهم ، والجيرة لهم والاستجارة لا عليهم . والقضاة عليهم القيام بالواجبات والطاعات لله جلّ وعلا ، والأمر

---

(١) المثار : أسباب الإثارة للخلاف .

(٢) العمدة : الفعل العمد .

(٣) الخاطية : فعل الخطأ ، والمعنى أن عقوبة العمد أربعة أضعاف العقوبة التي يحكم بها في غير الهجرة ، وأما فعل الخطأ فالعقوبة فيه بمثلها .

بـالمعروف والنهي والمنكر ، وإذا بـدا لهم تـأديب أو نحـوه إلى مقابل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أوجب الله فليس عليهم مثار ، وأن المثار لهم في ذلك لا عليهم .

وإذا بَدَر من أحد من الأطراف كلام لا يليق إلى أحد القضاة فليس عليهم اعتراض ، وأمرهم نافذ من حبس وتأديب على ما يقتضي الحال من غير إجناف فيما كان[1] ... إلى قبائلهم المهجرون لهم . والضمنا من آل صلاح بن كول :

الشيخ علي بن هادي أحمر الشعر ، والشيخ محمد بن هادي دماج ، والشيخ صالح بن محمد أبو عذبه دماج ، والشيخ مهدي بن طَبيزه ، والشيخ علي بن محمد جميل ، والشيخ محمد ابن جابر بن ضبعه ، والشيخ ناصر بن مَجْلَيَد ، والشيخ قاسم بن نجده ، والشيخ محمد العالم ، والشيخ علي بن محمد عجلان ، والشيخ علي بن مُتْعب .

هؤلاء الضمنا على رجال آل صلاح بن كول خشر .

(١) لم أتمكن من قراءة ما في الفراغ في الأصل فأبقيته خالياً .

والضمنا من المعاطرة :

الشيخ علي بن أحمد يعقوب ، والشيخ غانم بن محمد كُزمْان ، الشيخ محمد بن علي ابن محمد جميل ، والشيخ علي بن صالح أبو ريفه ، والشيخ صالح بن أحمد جعران ، الفقيه محمد بن هادي ، والشيخ غانم بن علي بن قطينه ، والشيخ صالح بن علي دِلْكان ، والشيخ صالح بن علي عكمان ، والشيخ محمد بن هادي الضويني ، والشيخ ناصر بن جبران ، والشيخ محمد بن علي بن صعيب ، والشيخ محمد بن ناوي ، والشيخ محمد بن عبيد بن عجلان .

هؤلاء هم الضمنا على المعاطرة خَشر .

ومن ذو ناجع الشيخ علي بن جابر ، والشيخ دايل الحشفول خَشْر علي ذو ناجع ، ومن دخل هذه الهجرة وهو خايف فهو آمن ، وما وقع فيه بعد أن يدخل الهجرة كان في وجيه الضُمنا المذكورين ، أو وقع فيه ، وما يلزم المثار يعلم ذلك كل واقف عليه بحضور الشهود . شهد بما ذكر السيد حسين بن محمد البركاني ، وشهد السيد صالح بن محمد البركاني ،

وشهد بذلـك علي بن محمـد بن جعلان الشرجي ، وشهـد بـذلـك هادي بن جابر[1] وشهد عمير بن محمـد بن محمـد بن عمير ، وشهـد علي بن نـاصر بن عمر ، وشهـد الحـاج علي بن عبـد لله بن غبيش بن علوان ، وخلق كثير ، والله خير الشاهدين .

وكتب وشهد السيد علي بن محمـد البركاني عفـا الله عنـه .

وإذا وقعت هدَّة في مقام الشريعة كان قاضي الشريعة له الحبس والتأديب ، وقوله مقبول في ذلك كله ، وإذا بدر هـدَّة إلى أحـد القضاة ، وكانوا فالقاضي مقبول على ما وقع فيه مع يمينه .

نعم حضرو آل صـلاح بن كـول ورجـال المعـاطرة ، واستطلعوا على هذه القاعدة ، وأوحبوا الجميع مـا ذكره من هـذه القـاعـدة من القـول والضمان ، وأجـازوهـا جميعـاً بتـاريـخ شهر جماد .

في مجمـع خلـق كثير شهـود على عرض هـذه القـاعـدة منهم

(١) لم يظهر ما في الفراغ في الأصل فأبقيته خالياً .

النقيب صـالـح البحر ، والنقيب مفلـح بن صـالـح بن عمير ، وحسن بن حسين بن عمير . والله خير الشاهدين .

هذا مجمعهم في بطحا الدار يعلم ذلك بتاريخ شهر جماد آخر من سنة ١١٨٥ .

النقيب منصور بن مهدي بن أحمد

تعميد هذه القاعدة ونصه : « الحمد لله » .

أطلعنا الولدُ القـاضي عز الإسلام محمـد بن حسين بن حسن على هـذه القـاعـدة فـالـواجب على أهـل الهجرة والضُمنـا تنفيـذ القاعدة والـذبّ عن الهجرة ، ومـا حـدث من كل قـاذي يصلهـا حسبما رقم بتاريخه شهر القعدة سنة ١٢٣٧ .

محمد بن يحيي بن عبد الله وفقه الله



القاعدة الثالثة

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم حضروا لدى آل صلاح بن كَولْ والمعاطرة ، وذو عمر ، ولم يعذروا الجميع سيدي القاضي العلامة صفى الإسلام أحمد بن صالح بن أحمد حماه الله للقيام والانتصاب في الهجرة للشريعة المطهرة وفرَّاعَة (جمع فارع ، وهو الذي يقوم بالفصل بين المتضاربين) بينهم بالوجه الشرعي ، وإحياء الهجرة ، وكان مجلل محترم مهجر على قاضي وقبيلي هو ما يلوذ ويعوره[1] وماله ورسله وعياله وما يعيرهم مُرَبَّع بعد النقا ، وموقفه مجلل محترم .

وهذه القاعدة يختص بها من غير تهجير الهجرة ، ولا يقاس به غيره ، وكان مهجر مجلل محترم في الهجرة وأينما زال[2] ، ومن هدَّ وإلا مدَّ في موقفه عيب الضُمنا ، وإذا زال لطلب شريعة بين غير أهل هجرته صلاحي ومَعْطَري استحكم لنفسه بضمان في

(١) يعوره : يلحق الضرر بأهله .

(٢) أينما زال : أين ما ذهب .

مقـام الشريعـة . ويـوم يقـع شيء فكان ضمنـا الشريعـة المقـدم صوان[1] لضمان القـاعـدة حق هجرتـه إن قـامـوا بمـا وَثَّروا وإلا دعوهم ضُمنا القاعـدة ، وثـاروا عليهم ، وكان أَمره نـافـذ بـالأَمر بـالمعروف والنهي عن المنكر على قـاضي وقبيلي وجـار[2] وكان قوله مقبول فيما نهى عنه وأَمر به . وما وقع في جنابـه أَو جنـاب من يلوذ به من غير كلام أَو غيره عيب ضُمنا القاعدة .

وكان المتشاجرين الذين يـأخـذوا الشريعـة عنـده إذا أحـدهم تغلب بعد الحكم فمُنْتَهـاه[3] ديوان المـام[4] ومـا وصل من ديوان المـام اعتمد ، ولا عليه عتب ولا حرج ولا نقض في هـذه القـاعـدة بل فوق كل ذي علم عليم ، وأَهل الطوابع والعلايم غصابة وتـأكيـد للضمان فيما ذكر إلى وجيـه الضمنـا وصوانـه لضُمنـا القـاعـدة التي تجمـع القضـاة ضمان المعاطرة : مقبل بن يحيى بن يعقوب ، ومحمد بن هادي بن

---

(١) صوان : اسم فاعل من صان يصونه إذا وقاه من فسخ القاعدة .

(٢) الجار : من يعيش في جوار القبائل .

(٣) منتهاه : مرجعه .

(٤) المام : اختصار الإمام .

أحمـد ، وصـالـح بن محمـد الفقيـه ، ومحمـد بن حسين[1] ... ومبـارك بن محمـد بن رشيـدة ، وصـالـح بن زاهر على أهـل المشرق ، ومحسن حسن على أهـل برط . ومحمـد بن نـاصر ، وحسن بن عبيد ومرشد بن هـادي بن جمعـان الجميع خشر ضمان آل صـلاح بن كـول ، والنقيب محسن بن حسن مهـدي ، وعبـد الله بن يحي بن مقبل بِحَيْح ، وقـايـد بن عزيز شملان ، ومهـدي بن نـاصر قنـاف ، وعلي بن نـاصر عِبْشـه ، ومفرح بن مهدي بن عجلان ، مصلح بن مصلح بن صوفه ، وعلي بن محمـد خرصـان ، ومنصـور بن نـاصر مِلْقـاط وحسين بن محمـد بن قراشي ، وعلي بن قبوع ، وهادي بن صالح بن قطيم ، وعلي بن صـالـح بن داود ، ويحي بن حسن بن شـذيـان ، خَشْر ، ولـزم ما ذكر في مجمعهم . بحضر الشهود ، والله قبل خلقه . شهـد الشيخ محمد بن هادي بن يعقوب ، وشهد الشيخ محمد بن حسين ، وشهد الشيخ قـائـد بن عزيز شمـلان ، وشهـد النقيب محسن بن حسن مهدي ضمن شاهد ، وخلق كثير أهل الطوابع النقيب مهـدي بن حسين ، ومحمد بن هادي بتاريخه شهر ذو القعدة سنة ١٢٣٨ .

(١) لم أتمكن من قراءة ما في الفراغ في الأصل فأبقيتها خالية .

القاعدة الرابعة

تهجير حاشد لآل العكام

وهذا تهجير من رؤساء ومشايخ حاشد للقاضي عبد الله بن محمد العكام وأولاده وأصحابه ونصه :

المرسوم الصحيح النافذ ، والتهجير الصريح شاهد بيد سيدي المالك الهمام فخر[1] الإسلام والدين القاضي عبد الله بن محمد العكام وأولاده وأصحابه القضاة بني العكام هجرتنا وبركتنا . وأن لهم التكريم والميزة والكرامة ، وأنهم آمنين بأمان الله سبحانه وتعالى ، وآمان رجال حاشد . الجميع صُريَمْي وعُصَيْي وخارفي وعِذَري ومَعْمَري . وذلك في أرض وبلاد وأسواق وأهجار وطرقات وأموال في بلاد حاشد الجميع مجللين

(١) فخر الإسلام يطلق على من اسمه عبد الله .

محترمين مـــا ينـــالهم ســوء ولا مكروه ، لاهم ولا خـــاطرهم ولا مسايرهم ، ولا رسولهم ، وأن لهم الشفاعـة مقبولـة ، وجـاههم مقبول .

وكان ذلـك في وجيـه أهل الطوابـع والعـلائم كل أحـد على قبيلته ولَحْمَته وحَبْله . وكان هذا برضى واختيار فليثقوا بهـذا ، وبالله الثقة ، وحسبنـا الله ونعم الوكيل . تم ذلـك بتـاريخ شهر صفر الظفر سنة ١٣٠٨ هـ .

هذا علائم رؤساء حاشد وخواتيهم .

القاعدة الخامسة

وبعد حمد الله حق حمده وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله .

وبعد ... إنه يوم الخميس لعله في شهر صفر الظفر سنة ١٢٦٢ حضروا لدينا قبائلنا أهلَ بالحُسين الجميع ، والحاضر منهم أجاز عن الغائب ، وأشهدوا الله ومن حضر من عباده بأنهم أدوا الضمان الصحيح للفقهاء بني الأكوع[1] الجميع ، وذلك تجْدوا ما بأيديهم من التهجير ، وذلك هجرة مجللين محترمين لا ينالهم سوء ولا مكروه آمنين ، بأمان الله ، وأمان المهجرين حسبما

---

(١) لآل الأكوع قواعد تهجير كثيرة من قبائل مرهبة وغيرها ، ولكنها ضاعت بعد خروج أكثرهم من هجرتهم (هجرة الملاحة) في مرهبة في فترات متقاربة ومتباعدة ، وتفرقهم في معظم مدن اليمن ، وقد بقيت بقية من قواعد التهجير عند بعض آل الاكوع الساكنين في مرهبة ، وبقية عند بعض آل الأكوع الساكنين في جبل السوق من آنس ، وبعد الإلحاح بمطالبتهم حصلت على وثيقتين إحداهما المذكورة هنا أمدني بها الأخ العميد محمد بن علي بن عبد الله الأكوع . والآخر لم أتمكن من قراءتها وقد أمدني بها الأخ عبد الله بن حسين الأكوع المرهبي .

مضى عليه أباؤهم وأجدادهم ، وأنهم آمنين في طرقاتهم وسوايحهم[1] لا يغيّر عليهم حال ، ولا يُكدر عليهم عدال[2] ولا معدول ، بل هم في أمان الله ، وأمان أهل الوجيه على شرع قانون التهجير . وإذا علم الله سبحانه وأحد أذاهم في الطريق أو في سوق أو غيره فكانوا أهل الوجيه قائمون على وجيههم وتهجيرهم يقوموا ويثوروا من غير ترزيه[3] ولا ضمان . ولا يتخاطبوا بما يخاطبوا به القبائل ، وكانوا هجرة : بيوتهم وأموالهم وقراشهم[4] وخدّامهم أو في[5] ... بل هم في ظل الله سبحانه ، وظل أهل الوجيه مِمَّن سيأتي ذكرهم ، وهو الشيخ يحي بن منصر العتيبي ، والشيخ علي مرشد الحيدري ، والشيخ مصلح صُلَيح ، والشيخ ناصر بن أحمد مثقال ، والشيخ أحمد ناجي كليس ، والشيخ صالح بن علي

---

(١) سوايحهم : جمع ساحة وهي مجمع القبيلة .

(٢) العدال : تقديم ضمان ، وغالباً ما يكون سلاحاً ليرهن المقدّم له على قبوله التحكيم ورضاه به .

(٣) ترزيه : ضمان وعدال .

(٤) القراش : الدواب من خيل وبغال وحمير وأنعَام .

(٥) الفراغ الموجود هنا لم نتمكن من قراءة الكلمة الموجودة في الأصل .

الحشار ، وأحمد ناشر ، وقاسم بن إسماعيل الغاوي ، والشيخ حزام الغَزِي ، وكل بني حسين ، ذكر على قبائلهم أهل بالحسين ، الجميع برأيهم ، الجميع ، يحضر من شهد ، والله خير الشاهدين . بتاريخه شهر صفر سنة ١٢٦٤ المحسن بن يحيي حنش . وشهد الشيخ صالح بن محسن دبلان ، والشيخ أحمد محسن بن راوع ، وشهد قاسم بن علي جابر ، وشهد الصنو عبد الله بن علي حنش ، وشهد النقيب محمد بن صالح النجار .

كتب وشهد يحي بن حسين أنعم لطف الله به .

وفي أعلى القاعدة تعميد ، وهذا لفظه : بعد أن اطلعنا على مابأيدي الفقهاء بني الأكوع من التهجير أدنى هذا فحضر قبائلنا أهل بالحسين الجميع أحمدي ومحمدي وصححوا التهجير بحضور قبائلنا أهل بالحسين ورضاهم بتاريخ سنة ١٢٦٦ .

وعليها علامة غير معروفة .

القاعدة السادسة

أنموذج من تهجير الأئمة

كتب الإمـــام النـــاصر الحسن[1] بن علي بن داود تهجيراً لساكني (هِجْرَة بني يَعْمُر)[2] :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله المتفضـل بـالنعم قبـلَ استحقـاقهـا ، المتكفِـل لعــام الموجودات بهني أرزاقها ، الذي مَنّ علينا بأن جَعَلَنـا للمكارم أهلاً ، وسلكَ لنا إليها سبيلاً سهلاً ، وهـدى بنـا إلى الصِّراط المستقيم من هو

---

(١) الإمام الناصر الحسن بن علي بن داود . ودعا إلى نفسه بـالإمـامـه من (هَجَر) الأهنوم سنة ٩٨٤ هـ ، وجرت بينه وبين القوات العثمانيـة حروب انتهت بأن سلم نفسه لسنان باشا في نصف رمضـان سنـة ٩٩٣ هـ فنفـاه مع بعض أعوانه إلى تركيا وتوفي هنالك سنة ١٠٢٤ هـ وقيل سنة ١٠٢٥ هـ .

(٢) بني يعمر : بلدة عامرة في نـاحيـة أفلح اليمن بـالقرب من أفلح الشـام من قضاء حجور وأعمال حجة .

في ضلالته وحيرته يهيم ، فنحن صفوة الصفوة من شجرة الأنبياء ومِشْكاة الضياء ، وصلاته وسلامه على من نُصر بالرعبِ مسيرةَ شهر ، وخُصّ من ربه بما يَبْقَى على أَعقاب الدَّهر .

وبعد فإن من عادتنا المشهورة ، وسجايانا المشكورة التي تَكْسِب في الدُّنيا فخراً ، وفي الآخرة مثوبة وأجراً إسداءَ العوارفِ إلى كل تليدٍ وطارف ، وتعظيم أَهل الدين والنهى ، ورفع أُولي الفضل والحجَى .

ولما كان السادةُ والفقهاءُ الساكنون بهجرة (بني يَعْمر) من أهل العلم والفضل والدين ، وإحياء سنة المرسلين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين حَسُن منا أَن نجعل لهم هذا الخط[1] الشريفَ السامي النَّبوي الإماميَّ الملاذي الملاثى المالكي الغياثي الحسني المؤيدي الهادوي !!؟ أَنفذه الله شرقاً وغرباً ، ومَكَّن بسطته بُعْداً وقُرباً شاهداً لهم بالإعزاز والإكرام والرعاية والاحترام ، وأَنهم محمولون على عادة الإنصاف والتجليل

---

(١) الخط : البلاغ أو المرسوم .

والاتحـاف ، لا يُراع سَربُهم ولا يُكَـدَّرَ شربُهم ، وأنهم من جملـة شيعتنا ، وممن تحوطهُ شفقتُنـا ، محترمون الجـانب ، مُجْرون على عوائدهم القديمة ، باقون على ما بأيـديهم من الخطوط[١] الشريفـة الإمامية المطابقـة للكتـاب والسُّنّـة ، وأن أمر واجبـاتهم[٢] إليهم يضعونها في مواضعها[٣] الشرعيـة ، وأنهم مُخْرَجون ممـا دخل فيـه قبـائلُهم بنو أسعـد بحَجُور مرفـوع عنهم كل المضـار ، ومكفـوف عنهم كل المعـار[٤] فعلى كل واحـد ممن وقف على هـذا المنشـور الشريف من النـواب والـولاة والمتصرفين العمـلُ بمقتضى ما وضعناه ، والامتثالُ لما رسمناه ، والثقة بالله سبحانه وتعـالى . فليطيبوا بذلك نفوساً وليقروا عيوناً . وعليهم الطاعةُ لله ولنـا . وموالاة موالينا ، ومعادةُ معادينا .

---

(١) أي : أن هذا البلاغ أو التهجير هو تأكيد لما في أيديهم من بلاغات سـابقـة صادرة عمن قبله من الأئمة بتهجير (بني يعمر) .

(٢) الواجبات هنا : هي الزكاة بأنواعها .

(٣) مواضعها : مصارفها الشرعية الواردة في القرآن الكريم .

(٤) المعار : جمع معرَّة .

شهر الحجة الحرام سنة ٩٩٦ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

وفي أعلى هذا التهجير علامة الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود .

أرزاق العلماء وطلبة العلم :

سبقت الإشارة في ديباجة هذا البحث إلى أن القبائل قد ضمنت لأهل العلم في هجرهم الأَمن والاستقرار ، وحمتهم ، من شر كل ذي شر ، وأُوكلت إليهم أُمور القضاء والفتوى والإرشاد والتعليم ، وما يتعلق بقضايا الشرع والدين ، ووفرت لهم أَيضاً أسباب الرزق ، فقد جعلت إليهم أمر صرف زكاة أموالها في حالة عدم وجود إمام شرعي نافذ الأمر والكلمة في مناطقها ، فكانوا ينفقون منها على أنفسهم وعلى طلبة العلم ، وعلى الوافدين إليهم ، وما فاض عن حاجاتهم منها فإنهم يُنفقونها في المصارف الشرعية[1] .

أَما في حالة وجود إمام حاكم نافذ الأمر مستجاب الدعوة فإنه يُلزمُ عمالَ النواحي باستلام الزكاة من الزرّاع ونقلها إلى

(١) أخبرني القاضي العلامة عبد الله بن عبد الوهاب الشماحي أَن القبائل المجاورة لظفر حجة كانت تدفع الزكاة إلى والده القاضي عبد الوهاب حينما =

مخـــازن بيت المـــال ، ويُخْصّصُ لأهـل (هجر العلم) زكاة قرىً معينـة ، أو يعين لهم مقـادير محـدودة من الـزكاة تُسلَّم إليهم من أُمنـاء مخـازن الـدولـة ، فإذا لم يعطهم مـا يقوم بكفـايتهم فإن القبـائـل لا تبخـل على من عنـدهـا من العلمـاء وطلبـة العلم من المعونة الثابتة ، فكانت تعطيهم ما يسد حـاجـاتهم بـأن تجعل لهم التلم[٢] العاشر .

وإذا تملـك البـلادَ حـاكمٌ من غير الأئمـة وامتـد إلى منـاطـق القبـــائـل التي تقـع بين أظهرهـــا الهِجَر . والـزمهم تسليمَ الـزكاة الواجبة عليهم كاملـة إليـه أو إلى ولاتـه وعمـالـه فـإن كثيراً من القبائل كانوا يدفعون زكاتين ، كما ذكر المؤرخ المقرائي في كتابـه

= سكن الظفير لنشر العلم في تلـك الهجرة . وكان طلبـة العلم يقصـدونـه إلى حيث يوجد ، وكان يصرف من الزكاة على نفسه وعلى طلبة العلم الوافدين إليه ، ومافاض عن حاجته وحاجتهم يصرفه على مصارف الزكاة الشرعيـة حتى تعين الإمام أحمد بن الإمام يحي والياً على حجة ١٣٣٩ هـ فكان يأمر باعتقال من يسلم الزكاة إلى القاضي عبد الوهاب الشماحي .

(٢) التلم : الشق فإذا كان في الجريب مثلاً مئة تلم فإن مجموع التلم العاشر عشرة أتلام ، وعلى من يعطى لـه التلم العـاشر أن يحصـد زرعهـا لنفسـه إن كان قادراً .

(مكنون السر) بقوله :

« وكان كثير منهم في غير دولة الأئمة يخرجون زكاتين : زكاة للدولة وزكاة للطلبة والمستحقين » . إذ القبائل لا تعد ما تدفعه للدولة زكاة لأنها في نظرهم غير شرعية ـ كما سيأتي بيان ذلك ـ وأن ما تدفعه لها ليس صدقةً تطهرهم .

كما أن أهل الخير من القبائل وغيرهم كانوا يوقفون بعض أموالهم على بعض العلماء الذين يسكنون (هجر العلم) ويشترطون عليهم إحياءها بالدرس والتدريس ، وبعض الواقفين كان يجعل وقفه مقيداً بمن يعيش في الهجرة من العلماء والمتعلمين ، وبعضهم كان يوقف أمواله على العلماء من أولاده فقط حتى يستمر العلم فيهم ، فإذا رغب الموقوف عليه أو أبناؤه أن يزرعوا الأرض الموقوفة عليهم فإن زكاة ما يحصدونه من ثمار تُصرف بنظرهم للمستحقين لها ، وكان الأئمة يجعلون أمر صرفها إليهم ، وتسمى هذه الأرض التي يزرعونها (جَبَرية) فلا يحق لأي شخص أن يطالبهم بدفع زكاتها إليه ، وكان هذا معروفاً إلى عهد قريب .

بداية ظهور (هجر العلم) في اليمن وبواعث نشأتها

لا نعرفُ على وجه اليقين تاريخَ بداية ظهور (هجر العلم) في اليمن ، لكن بعض الهجر كانت معروفة في المئة الثالثة للهجرة ، كما ذكر ذلك المؤرخ يحي بن الحسين في كتابه (أنباء الزمن) في أخبار سنة ٢٨٤ هـ فقد ورد في ترجمة الإمام أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدَّبَري المتوفى سنة ٢٨٥ هـ بلفظ (هجرة دبر)[(١)] وهي التي نُسِب إليها ، وكان يسكنها ، وهذا الإمام هو الذي رحل إليه أحد العلماء للأخذ عنه ، وتمثل وهو في طريقه إلى اليمن - كما يروى - بالرجز المشهور :

(١) هجرة دبر : قرية خربة معروفة المكان في وادي الفروات من سنحان جنوب صنعاء على مسافة عشرين ونيّف كيلو متراً منها ، ولم يبق منها غير أطلالها ومسجدها ، ويوجد في الجهة الشرقية منه بعض القبور ، منها قبر الإمام الدبري رحمه الله .

لا بدَّ من صنعا وإن طال السَّفَرْ

وأنه أكمله بقوله :

وتقصدُ القاضي إلى هِجْرَة دَبَرْ

وروى أحمد بن عبد الله الرازي المتوفى نحو ٥٠٠ هـ في كتابه (تاريخ صنعاء)[١] ما لفظه :

« وحدثني رجلٌ من أهل صنعاء من ولد الدبَري قال : بلغني أن الحادي كان يحدو في طريق العراق وغيرها بقوله :

لا بدَّ من صنعا وإن طال السَّفَر   لطيبها ، والشيخُ فيها من دَبَر

يعنون إبراهيم[٢] بن عباد الدَّبري ، كان من بلد (دَبَر) على بعد يوم من صنعاء . وقد اعتمد المؤرخ محمد بن يوسف الْجَنَدي المتوفى بعد سنة ٧٣٣ هـ - أو فيها - في كتابه (السلوك في طبقات العلماء والملوك) في ترجمة الدَّبَري ، وتلاه علي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ هـ في كتابه (طراز أعلام

---

(١) الرازي ، تاريخ صنعاء : ١٩٠ .

(٢) الاسم الصحيح له إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري كما تقدم بيان ذلك .

الزمن) في رواية الرَّجز المذكور على ما في (تـاريخ صنعـاء) ، ولكن أَبا القاسم عبيد الله بن أَحمد بن خردادبـة المتوفى نحو سنـة ٢٨٠ هـ ذكر مصرع هذا الرجز في كتابـه (المسالـك والممالـك) برواية أُخرى ، وهي :

لا بُد من صَنعا وإن طـال السَّفَرْ وإن تَحَنَّى كلُّ عـودٍ وانعَصَر

هذا وقد انتشرت الهجر في المناطق التي تغلب فيها المـذهب الهـادوي الـزيـدي[1] في نجـد اليمن . وكانت بـدايـة ظهـور هـذا

(١) النسبة الصحيحة إلى مـذهب الإمـام الهـادي يحي بن الحسين هي المـذهب الهادوي ، ولكنه يطلق عليه المذهب الزيدي تجوزاً لعلاقـة قويـة بينهما : فالهادويـة تقول بقول الإمـام زيـد بن علي في تفضيل علي بن أبي طـالب رضي الله عنه على سائر أَصحـاب رسول الله ﷺ إلا أن الأَمـام زيـداً كان يجوز إمامة المفضول ، ولذلك فإنه تولى الخليفتين أَبـا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وسار على سنتـه علمـاء الزيـديـة الأول ، بينما علماء الـزيـديـة المتـأخرون لا يقـولـون بإمـامـة المفضـول ، لـذلـك فقـد لُقِب كثيرٌ منهم بالرَّافضة أَو الجارودية ، لأَن هؤلاء تناولوا الخلفـاء الراشـدين بـالسَّبِّ مع أَن الإمـام الهـادي يحي بن الحسين أمر بجلـد من يسب الشيخين أَبـا بكر وعمر رضي عنهما ، كما روى ذلك القاضي أَحمد بن سعيد الريعـاني ، قـاضي الإمـام المنصـور عبـد الله بن حمـزة ، حكى هــذا العـلاّمــة المـؤرخ الكبير =

المذهب على يد مؤسسه الإمام الهادي يحي بن الحسين بن القاسم الرسي الذي قدم إلى اليمن من الحجاز في صفر سنة ٢٨٤ هـ فدعا إلى نفسه بالإمامة ، وتلقب بالإمام الهادي ، ثم أخذ يوطد نفوذه في المناطق التي استجاب أهلها لدعوته بنشر مذهبه فيها ، وتثبيت عقائده وترسيخها ، وأهمها مسألة (الإمامة) التي جعلها هو وخلفاؤه من الأئمة بعده ركناً من أركان أُصول الدين ، كما حصروها على أولاد البطنين[1] الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وحرموها على من سواهم مهما كانت مرتبته العلمية ، وعلو منزلته ومكانته

= يحي بن الحسين ابن الإمام القاسم في كتابه (المستطاب) قال : « وقد حكاه ابن الوزير في حاشية (الهداية) » . انتهى من (مجموع بلدان اليمن وقبائلها) : ٣٧٦/١ .

كذلك فإن علماء الهادوية يرون رأي الإمام زيد في وجوب الخروج على أئمة الجور وراء إمام أعلن الجهاد ، وذلك كما خرج الإمام زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب على هشام بن عبد الملك فاستشهد سنة ١٢٢ هـ ثم خرج من بعده ابنه يحي بن زيد فاستشهد كذلك سنة ١٢٥ هـ .

(١) هذا هو أهم شرط يجب في الإمام ، وهناك شروط أُخرى مذكورة في باب السِّيَر من كتب فقه الزيدية سيأتي ذكرها قريباً .

الاجتماعية ، فكان إذ تولى أَحدُ من غير العلويِّين حكم المناطق التي يسود فيها مذهب الإمام الهادي ، فإن هذا المذهب يوجب على علمائه وقادة الرأي من أَتباعه الهجرة والالتحاق بداعيتهم من الأَئمة ، إذ البقاء تحت ظل هذا الحاكم إقرارٌ بشرعية حكمه ، لأنه في نظر بعض علماء المذهب الزيدي باغ وكافر تأويل لاغتصابه حقَّ غيره بتوليه للرئاسة العامة للمسلمين ، وهو ليس من أَولاد السِّبْطَيْن ، لذلك فإنه يجب محاربته وقتله كما أَفتى بذلك الإمام المنصور عبد الله بن حمزة في أَرجوزته المشهورة التي ندَّد فيها بالإمام نشوان بن سعيد الحميري المتوفى بعد سنة ٥٧٣ هـ وأوجب قتلَه ، بعد اعترافه بأَنه في نسبه من أَرفع بيت في اليمن ، وأَنه عالمٌ مبرز في جميع الفنون ، وأَن أَحكامه كانت ماضية ، وأَوامره نافذة ، لا لذنبٍ سوى أنه دعا إلى نفسه بالإمامة ، وهو لم يكن علوياً فاطمياً ، وذلك كما جاء في قوله :

مـا قولكم في مُؤمنٍ صَوَّامِ مُوَحِّدٍ مجتهدٍ قَوَّامِ ؟
حَبْرٍ بكل غامضٍ عَلاَّمِ وذكُره قد شاع في الأَنامِ
لم يبقَ فنٌ من فنونِ العلم إلاَّ وقد أَمسى له ذا فَهْمِ

وهو إلى الدِّين الحنيف ينْتَمي مُحَكَّمُ الرَّأْيِ صَحيـــحُ الجُسْمِ
ومـا لــه أصـل إلى آل الحسن ولا إلى آل الحُسَيْن المُـــؤْتَمَن
بل هو من أرفع بيتٍ في اليمن قد استوى السِّرُّ لديـه والعَلَن
ثم انبرى يـدعو إلى الإمـامـه لنفسِـــه المـؤمنـةِ القَّــوامَــه
ثمت أجرى بـالقضـا أقـلامــه وأنفـذت أسيــافُـه أحكامــه
وقطـع السَّـارقَ والُمحَــاربــا واستَّل للعاصين سيفاً قـاضبـا
وقــاد نحـو ضِــدِّه المَقَــانِبـا وبَثّ في أرضِ العدا الكتائبـا

ثم بعد هذا الثناء المطـابق للواقع سـأل الإمـام عبـد الله بن حمزة نفسه وغيره وطلب من المخاطبين الحكم في نشوان بقوله :

ما حكمه عند ثقـات الفضل ؟ لمـا تنــاءى أصلــه عن أصْلي
ولم يكن من مَعْشَري وأَهلْي أهلِ الكساء موضِع عِلْمِ الرُّسْل

ولما كان على علمٍ أكيد بما ستكون إجـابتهم عنـه فيما سـأل ، فقـد بين حكم أجـداده فيـه ، وهو أيضـاً حكمـه ، مـؤكـداً ذلـك بقوله :

أَمَّا الذي عنـد جُـدُودي فيـه فيقطعــون لِسْنَــه من فيـــه
ويُــؤْتِمــون ضحـــوة بنيــه إذ صـار حـق الغير يـدَّعيْــه

ولعل موافقة المطرفية للمعتزلة في جواز أن يكون الإمام من غير أبناء السبطين ـ وهذا المبدأ هو ما أخذ به الإمام نشوان بن سعيد الحميري وطبقه على نفسه ـ هو سر نقمة الإمام المنصور عبد الله بن حمزة من هذه الفرقة التي كانت من أشياعه فقام بإبادتها والقضاء على تراثها .وتدمير هِجَرها .

وكان إذا تعذر على العلماء والقادة من أتباع مذهب الهادي الخروج من المناطق التي شملها نفوذُ الحاكم الذي لم يكن من أولاد السبطين فإن هذا المذهب يلزمهم بعدم حضور جمعة[1] هذا الحاكم وجماعته حتى تسنح لهم الفرصة للمهاجرة ، أو تقوم معارضة قوية بقيادة إمام يطيح بذلك الحاكم ، وينتهي أمره إلى الزوال .

وهذا هو أهم أسباب نشوء (هجرة العلم) وقيامها ، ويندرج هذا الفصل تحت عنوان :

---

(١) من شروط صحة صلاة الجمعة عند الهادوية وجود إمام شرعي ، فإذا لم يكن موجوداً فلا يلزم إقامتها وحضورها .

١ ـ اختلاف عقيدة الحاكم عن عقيدة المحكومين :

فقد ظهر بعض الهجر حينما استولى الداعي علي بن محمد الصليحي في المئة الخامسة على حكم اليمن ، وشمل نفوذُه جميع مخاليفها ، وكان على مذهب الإسماعيلية ، ويستمد نفوذه الروحي من المستنصر الفاطمي ، فكان أن نفر من حكمه كثير من علماء اليمن ، وهاجروا إلى مناطقَ منيعةٍ لا تطول إليها يدُهُ وأَسسوا لهم فيها هِجَراً للفرار بعقائدهم حتى لا يُفتتنوا في دينهم ، وكان أَهم (هجر العلم) التي ظهرت آنذاك (هجرةَ وقَش) وقد بناها إبراهيم بن الهيثم ، واستمر الحالُ هكذا إلى أن زالت الدولة الصيلحية ٤٣٩ ـ ٥٤٢ هـ (١٠٤٧ ـ ١١٣٨ م) وكذلك كان الأمر في عهد الدولة الأيوبية ٥٦٩ ـ ٦٢٦ هـ (١١٧٣ ـ ١٢٢٩ م) فإنه لما امتد نفوذهم إلى الجبال ، ولا سيما صنعاء ، هاجر منها من تمكن من الخروج من علماء الزيدية وفقهائها[١] . وكذلك في عهد الدولة الرسولية ٦٢٦ ـ ٨٥٨ هـ (١٢٢٩ ـ ١٤٥٤ م) ثم في عهد الدولة الطاهرية ٨٥٨ ـ ٩٣٣ هـ

---

(١) كان سكان صنعاء آنذاك خليطاً من أهل السُّنَّة والشافعية والزيدية .

(١٤٥٤ ـ ١٥٢٦ م) وكان حكام هذه الدول الثلاث على مذهب الإمام الشافعي .

ثم في عهد الدولة العثمانية الأول ٩٤٥ ـ ١٠٤٥ هـ (١٥٣٦ ـ ١٦٣٥ م) ، وفي العهد الأخير ١٢٦٥ ـ ١٣٣٦ هـ (١٨٧٢ ـ ١٩١٨ م) ، ذلك لأن الدولة العثمانية كانت على مذهب الإمام أبي حنيفة ، وكانت القوانين الشرعية المعمول بها في دار السلطنة والولايات العثمانية التابعة لها على مذهب الدولة العثمانية ، كما ظهرت الهِجَر في عهد الإمام المتوكل إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ (١٦٧٦ م) حينما جعل مدينة (ضوران) مركز قضاء آنس قاعدة حكمه ، فكان يفد إليه كثيرٌ من علماء مذهبه فيقيمون عنده للقضاء والفتيا ، وكان يكلف بعضهم بالإقامة في بعض قرى آنس لتعميق وترسيخ مذهب الإمام الهادي . وقد تحول أهل ناحية جبل الشرق من آنِس ، وأهلُ الحدا في عهده من المذهب الشافعي إلى المذهب الزيدي .

٢ ـ الخروج على الظالم :

كانت المناطق التي ينتشر فيها المذهب الزيدي يحكمها أحياناً حكام من غير أتباع هذا المذهب فيخرج أحدُ العلماء ممن تتوافر فيه شروط الإمامة[1] على الحاكم القائم ويذهب إلى إحدى قبائل الشمال المشهورة بالقوة والمنعة فيدعو إلى نفسه بالإمامة فتتحول القرية التي نزل بها إذا طال مُكثه فيها إلى (هجرة علم) بعد أن يلتحق به أعوانُه ومؤيدوه وأتباعُه ، ليقوموا بنشر دعوته ، وقد تدعو إحدى القبائل الكبيرة إلى ديارها عالماً مؤهلاً ليكون إماماً فيعلن دعوتَه منها وتؤازره بالرجال والمال .

وكان إذا دعا أحدٌ من الأئمة إلى نفسه بالإمامة من بين أظهر القبائل لعدم تمكنه من نشر دعوته من العاصمة صنعاء لخضوعها لنفود حاكم آخر ، فإنه يحرص على الاتصال بمن يتوسم فيه

(١) شروط الإمامة أربعة عشر شرطاً : سبعة خلقية ، وهي أن يكون عاقلاً بالغاً ذكراً حراً ، وأن يكون علوياً فاطمياً ، سليم الحواس وسليم الأطراف . وسبعة اكتسابية وهي أن يكون عالماً مجتهداً وعدلاً سخياً بوضع الحقوق في مواضعها مدبراً ، أكثر رأيه الإصابة ، مقداماً حيث تجوز السلامة ، لم يتقدمه مُجاب .

النُّصرة والمعونة له من العلماء والقـادة وزعمـاء العشـائر ومشـايخ البلاد فيكتب إلى كل واحـد منهم بـلاغـاً يخبره بـأن أهـل الحـل والعقد قد اختاروه وبايعوه إماماً وأنه محتاج إلى مؤازرة العلمـاء والقادة ، ويطلب ممن يكتب إليه حثَّ من لديه من العلماء على مبايعته والإسراع بـاللحـاق بـه ليقوّي بهم شـأنـه وشوكتـه حتى يتمكن من التغلب على من يحكم البلاد .

ولدينا بلاغ من الإمام الهادي شرف بن محمـد عِشَيْش[1] غير مـؤرخ مـوجـه إلى القـاضي عبـد الله[2] بن علي بن عبـد الرحيم العنسي يحثه على الإسراع باللحاق به ، هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عز وجل من قائل كريم : ﴿ ياأيُّهـا الـذين آمنوا هـل أَدُّلكُم على تجـارةٍ تُنجيكم من عـذابٍ أليم ، تُـؤمنـون بــالله

(١) دعا إلى نفسه بالإمامة سنة ١٢٩٥ هـ وكانت ولادته سنة ١٢٤٥ هـ ووفـاتـه ١٣٠٧ هـ .

(٢) مولده بذمار ، وهاجر إلى الإمام المـذكور في ذي الحجـة سنـة ١٢٩٧ هـ ، وقد توفي في وداعة في شوال سنة ١٣٠١ هـ .

ورسوله وتُجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾[1] والصلاة والسلام على رسوله القائل « من سمع داعيتنا ـ أهلَ البيت ـ ولم يجبها كبهُ الله على مِنخره في نار جهنم ، وعلى آله الذين مشوا على منهاجه القويم ، وسلكوا صراطه المستقيم » .

وبعد .. فصدور هذه السطور[2] ....[3] الفهامة الحبر الصمصامة فخر ولي الله ، النبراس الذكي ، الأفضل الأعلم الزكي ، الأكمل الأنبل الشيعي عبد الله بن علي العنسي سلمه الله ، وأهدى إلى مقامه الرفيع وسوحه الخصيب المريع سلاماً ، ورحمة الله وبركاته إكراماً وإجلالاً .

صدورها من بلاد الأهنوم ، والقلب من مناكر العَجَم[4]

---

(١) الصّف : ١٠ ، ١١ .

(٢) كانت في الأصل مكتوبة بالصاد الصدور .

(٣) لم نتمكن من قراءة الكلمات الساقطة هنا في الأصل لتآكلها فأبقينا محلها خالياً .

(٤) العجم : عساكر الدولة العثمانية .

مكلوم بعد الإعلان بالدعوة المتلقاة بالقبول وبث الرسائل الموقظة لذوي العقول ، ووصول العلماء الأعلام من اليمن والشام[1] وتواردوا إلى الحضرة السادات الكرام والرؤساء الأقرام أهل الحل والإبرام ، ودخل الجميعُ في طاعتنا وانتظموا في سلك جماعتنا ، وتعقب وصول الولد العزي سيف الإسلام محمد بن الإمام ووصول بقية إخوانه الكرام . ووقع جمع الكلمة لنا ، وأُلزم العامة بامتثال أمرنا ونهينا . والمقصود رضاء الله ، وإحياء دين الله ، والجهاد في سبيل الله وإنصاف المظلوم ، والعمل بما يطابق مراد الحيّ القيّوم . وحكمك أيها المرجع والسقط والمصقع ممن لا يستغني عنه المقام ، ولا يليقَ غفولُه عن مركز الإسلام ندعوك لبيعتنا ، والدخول تحت طاعتنا ، والوصول إلى حضرتنا وملازمة هِجْرتنا . ويكون منك العناية في حث من تراه من المؤمنين الحافظين لحدود رب العالمين فيما يجب من الإعانة لله ولرسوله ، ولنا في الدفع والنفع للإسلام والمسلمين .

وهذا نحن في حال الحث والتحشيد ، ومن الله نستمد النصر

---

(١) المراد باليمن هنا جنوبه ، والشام شماله .

والتأييد ، والتوفيق والتسديد .

ولا نزيدكم تحري في المبادرة بوصولكم وتشمير في حضوركم : ﴿ ياأيُّها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحْييكم واعلموا أن الله يحولُ بينَ المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ، واتقوا فتنةً لاتصيبَنَّ الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾[1] .

والله يبارك فيك ويصلح شأنك ودينك ودنياك وآخرتك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله وسلم على محمد وآله .

وهذا معروض على إخوانكم المؤمنين ﴿ وذكر فإنَّ الذكرى تنفعُ المؤمنين ﴾ وأنتَ بمحل من الكمال[2] .

---

(١) كانت في لأصل : واعلموا أن الله سميع عليم : الأنفال ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) أمدني بهذه الوثيقة الأخ القاضي حميد بن مطهر بن عبد الله العنسي حفيد القاضي عبد الله العنسي الذي كانت هذه الدعوة موجهة إليه .

٣ ـ التنازع على سُلطة الإمامة :

قد يرى أحدُ العلماء أنه أصلحُ للإمامة لاستيفائه شروطها ، وأنه أقدر على النهوض بها من الإمام القائم المتربّع على دست الحكم ، إمّا لعجزه عن القيام بأعباء هذا المنصب الكبير ، وإما لظهور الفساد في حكمه ، وإما لطمع ورغبة في الاستيلاء على الإمامة ، فيذهب هذا العالمُ إلى إحدى القبائل المنيعة خُفية حتى لا تحبطَ مساعيه بعد أن يكون قد مهَّد السبيلَ بالاتصال مع رؤساء تلك القبيلة لإيوائه ومؤازرته ومبايعتهم حينما يعلنُ نفسه إماماً ، والوقوف إلى جانبه ، واستقبال مَن يلتحقُ به من أعوانه ومؤيديه من العلماء والرؤساء والقادة وغيرهم ، وقد لا يذهب إلى القبيلة التي وَعَدْتهُ بالمؤازرة إلا بعد أن يكون أصحابهُ وأعوانهُ قد ذهبوا إليها قبلَه ، فإذا بلغ مأمنَه ، ولحق به أهلُه اتخذ القريةَ التي حطَّ فيها رحاله ، وأعلن نفسَه منها إماماً (هِجْرةً) ، فإذا قوي أمرهُ واستفحل شأنهُ باستجابة قبائل أُخرى لدعوته فإنه يتقدم بالمحاربين من القبائل التي استجابت لدعوته للاستيلاء على مقاليد الحكم من الإمام السابق بالقوة ، إذا تغلب عليه ، وقد يُجَهِّزُ القبائلَ الموالية له تحت قيادة من

يثق به من أهله أو من أعوانه المخلصين ، فإذا كُتب له النجاح تحقق هدفُه ، وإذا عجز عن الوصول إلى غرضه فإنه يعود إلى هجرته التي أعلن نفسَه منها إماما ليُعدَّ للقيام بحملةٍ أُخرى إذا استمر ولاء القبائل التي بايعته على حاله السابقة ، وإذا تخلى عنه أعوانه ومؤيدوه ، وفترت حماستهم له فإنه يقنع بالبقاء في تلك الهجرة ويشتغل بالتدريس ، وينقطع للعلم إذا لم يطلب الإمام الذي انتصر عليه من القبيلة التي آوته بتسليمه إليه أو طرده من عندها ، وقد ينتقلُ إلى قبيلة أُخرى فيوافق الإمام على بقائه فيها إذا تكفلت تلك القبيلة بأن لا تسمح له بممارسة أي نشاط سوى التدريس ، أمّا إذا ضاقت عليه السبل فقد يسعى عن طريق بعض أصدقائه للمصالحة مع الإمام ويعود مستكيناً طالباً الصفح عنه .

٤ ـ عزل الإمام عن منصبه :

قد يرى ذو الحل والعقد من العلماء والقادة والرؤساء أن الإمام المعترف به غير صالح لاستمراره إماماً فيتقدمون إليه لمطالبته بالتخلي عن الإمامة ، فإذا كان ضعيفاً فإنه يتخلى عنها

سِلْماً ، ويعهدون إلى رجل آخر للقيام بهذا الأَمر ، وإذا كان قوياً فقد يرفض التخلي عن منصبه ، ويتمسك بحقه في البقاء إماماً ، ويعد العدة لمواجهة ما يحتمل أن يحدث من حشد القبائل عليه لانتزاع الأَمر منه بالقوة ، فإذا غلب على أَمره ونجا من القتل فقد يطلب من الثائرين عليه السماح له بالبقاء في إحدى القرى التي يختارها لنفسه لتكون هجرة له فيقضي فيها بقية عمره بعيداً عن نفوذ الإمام الذي خلفه والذي لا يطمئن إلى سلامة حياته وحياة أَهله تحت ظل حكمه ، وينقطع في هجرته للتدريس .

وقد يطلب الإمام الحاكم من القبيلة التي هجَّرت إحدى الشخصيات الكبيرة أن تُلغي تهجيرها له إذا رأى منه عملاً يهدد وجودَه كإمام أو أنه يسعى لإثارة القبائل عليه ، ومحاولة وضع مصاعب جمة في طريق استقراره وهدوئه . ومن هذا القبيل ما كتبه الإمام المنصور محمد بن يحي حميد الدين إلى مشايخ بني صُرَيم من حاشد يطلب منها إلغاء تهجيرها لصالح الغرباني ، وهذا نص بلاغه :

بسم الله الرحمن الرحيم

خدَّامَتنا الكرام وأَنصار الحق الفخام ، مشايخَ بني صُريَمْ أَصلح اللهُ لهم الشَّأن ، وجعلهم من أَتباع القرآن ، وعترة سيد ولد عدنان .

صدورها بعد وصول كتابكم من شأن السيد صالح الغُرْبَاني الذي خان الله في عهده ، وخان الْمُهَجِّرين له بكذب وعده .

والآن نلزمكم بظاهرة[1] في سوق خَمِر[2] بقطع تهجيره هو ومن تابعه على الضَّلال ، وسيأتيكم في شأنه العلم الزلال ، فمن نكث فإنما ينكثُ على نفسه .

بارك الله فيكم ، وشريف السلام .

حرر ١٧ رمضان ١٣١٥ هـ .

---

(١) الظاهرة : البلاغ الذي يعلن في الأَسواق ، وقد تقدم شرحه .

(٢) خَمِر : بلدة مشهورة في بني صريم من حاشد ، وهي مهجرة من حاشد لأنها مجمعهم .

وفي أعلى هذا البلاغ ختم الإمام المزبور فيه (أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين) . سنة ١٣٠٧[1] .

٥ ـ اضطراب الأمن وفقدانه في المدن :

كانت مدنُ اليمن ـ ولا سيما صنعاء ـ تتعرضُ ما بين حينٍ وآخر لهجوم القبائل عليها ومحاصرتها حينما تخلو البلادُ من حاكمٍ قوي يحفظ الأمنَ والسلام ، ويوفر الرخاء والاستقرار مما يجعل أكثر قبائل الشمال ـ لفقرها المدقع ـ تندفع كالجراد المنتشر فتقطعُ الطرقات ، وتغزو المدن والقرى وتَنْهَبها وتسلبُ ما فيها فينال سكانها مضرات جسيمة من الدمار والخراب في بيوتهم وخسائر فادحة في الأنفس والأموال .

وكانت أَشدُ الكوارثُ التي تنزلُ بالعاصمة من غارات القبائل هي التي يمتطي أَحدُ الطامعين في الحكم هَيَجَان هذه القبائل فيحرك فيها أَطماعها ورغبَتها في الانتقام ، ويسوقها أَمامَه ليُحَقِقَ غرضه بالاستيلاء على المُلْك ، وما أكثَر ما كان التنافسُ

---

(١) هذا التاريخ هو تاريخ تولي هذا الإمام للإمامة .

على الاستيلاء على صنعاء بين الطامعين في الحكم[1] ، فكان بعضَ العلماء والفضلاء حينما يشتدُ الحصارُ بصنعاء يَخرجون منها بمشقةٍ ، ويذهبون إلى بعض القرى النائية حيث يجدون فيها الأمنَ والاستقرار فتتحول القُرى التي يسكن فيها العلماءُ إلى (هِجَر عِلم) .

٦ ـ نشر الوعي الدِّيني :

حينما يشتد تفشي الجهالة بأحكام الشريعة الإسلامية عبادةً ومعاملةً في مناطق القبائل في مشارق اليمن وشمالها فيرجع سكانُ هذه المناطق إلى التعامل بالأحكام العرفية فيحلّون أحياناً ما حرَّمَ اللهُ ويُحرمون ما أحل الله ، فيسارع بعضَ العلماء إلى الهجرة إلى مساكن هذه القبائل لنشر التعليم فيهم وإرشادهم إلى معرفة الحلال والحرام امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ وإذ أخذَ اللهُ

---

(١) روى المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي في كتابه (اللآلي المضيئة) نقلاً عن السيد صلاح بن الجلال فقال : « وكانت صنعاء وأعمالها كالخرقة الحمراء بين الأحذي ، لها في كل سنة أو شهر سلطان غالب حتى ضعف أهلها ، ثم انتجعوا إلى كل صَقعٍ ، وتوالى عليها الخراب » .

ميثاقَ الذين أُوتوا الكتاب لَتُبيّنُنَّه للناس ولا تكتمونه ﴾[1] وتتحول القرية التي نزل بها هذا العالمُ إلى (هِجْرَةِ علم) إذا كثر فيها طلبة العلم .

وقد تدعو بعض القبائل أَحد العلماء ليسكنَ بين أظهرهم لنشر التعليم وتفقيه العامة بأُمور دينهم ، وتولي فصلِ الخُصومات وقسمة المواريث وتوثيق الُمعاملات من بيع وشراء وعقد زواج وطلاق إلى غير ذلك من الأُمور التي لا بد من الرجوع فيها إلى حاكم شرعي ، وتتكفل القبيلة بتهجيره وتهجير مسكنه .

كذلك فإن مدن العلم وهِجَره كانت تستقبل في كل عام عدداً كثيراً من أَبناء الريف الراغبين في طلب العلم ، ويقال لهم خلال طلبهم للعلم (مُهَاجِرين) وينزلون في منازل[2] ملحقةٍ بالمساجد والجوامع ، ويجدون عوناً كبيراً من أَهل الخير إذ إن طالبَ العلم لا بد أن يحصل من بعض أهل الخير على ما يكفيه

---

(١) آل عمران ١٨٧ .

(٢) المنازل : جمع منزلة ، وهي غرفة ملحقة بأحد المساجد لإقامة طالب العلم فيها .

من الخبز إذا كان محتاجاً ويسمى (الراتب) ، كما أنهم يجدون من العلماء مساعدةً عظيمة في إعارة كتب الطلب للقراءة فيها أو للاستنساخ منها .

وكثيراً ما يعودُ من يحوزُ على قدر كبير من المعرفة إلى بلدته لنشر العلم وتدريسه امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ فلولا نفرَ من كلّ فرقةٍ منهم طائفة ليتفقهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾[1] فتتحول بلدته إلى (هجرة علم) مقصودة للأخذ عنه والاستفادة من علمه ، وفي مقدمتهم أبناء تلك القرية .

٧ ـ العزلة عن الناس والانقطاع للعبادة :

ظهرت في المئة الثامنة للهجرة (هِجَرٌ) خاصةً بالزُّهاد الذين ابتعدوا عن زخارف الدنيا ومباهجها ، وانقطعوا للعبادة ، واهتموا بالجانب الرُّوحي في الإنسان .

وكان الزاهدُ العابدُ إبراهيم بن أَحمد الكنيعي المتوفى بصعدة سنة ٧٩٣ هـ أَوَّلَ من أَنشأ هذا النوع من الهجر ، وحث تلاميذه

---

(١) التوبة ١٢٢ .

الـذين سلكـوا مسلكـه على إنشـاء هِجَرٍ لهم في ديـارهم ممـاثلـةٍ لهجرتـه ، وكان يقومُ بزيـارتهم إلى هِجرهم كلَّ عـام ، ويتعهـدهم برعـايتـه ، ومن أَبرز تـلاميـذه الحسن بن مـوسى بن الحسن الأَوطـاني ، وكان اسم هجرتـه : (هجرة الأوطـان) في بـلاد مَذْحِج ، وكذلك حسن سلمان ، وقدِ سميت هجرتـه العـامرة إلى اليوم في مخلاف وادي الحار من أَعمال ذمار بـاسمـه أَيضـاً (هجرة حسن سلمان) .

ومن الهجر الَّتي كان يسكنهـا إبراهيم بن أحمـد الكنيعي (هِجرة مَعْبر) في جَهْران و (هِجْرَةُ عَرَام) و (هِجْرَةُ الْوَشَـل) في وادي زُبَيْد من مخلاف زُبيد وأَعمال ذمار .

وقد سلك هذا المسلـك الإمـامُ المجتهـدُ محمـدُ بنُ إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ هـ صـاحب (العواصم والقواصم في الـذب عن سنـة أَبي القـاسم) واعتزل النـاسَ في آخر حيـاتـه ، وأَلَّف كتـابـاً في هـذا الموضوع أسماه (أنِيس الأَكياس في فضلِ الاعتزال عن الناس)[1] .

---

(١) طبع بعنوان (الأمر بـالعزلـة في آخر الـزَّمـان) بتحقيـق الأُستـاذ إبراهيم باجس عبد المجيد ، ونشر في دار ابن القيم .

هذه هي أبرز بواعثِ ظهور (هجر العلم) في المناطق التي ينتشر فيها المذهب الزيدي .

ولو أردنا أن نعرفَ منابتَ أشهر علماء اليمن المجتهدين لوجدنا أن أبرزهم قد عاشوا في (هجر العلم) ومعاقله ، إما وُلدوا أو عاشوا فيها أو أقاموا بها فترة من الوقت أو كل ذلك مجتمعاً .

ـ فهذا أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني :

لسان اليمن ، وهو عالم مؤرخ نسابة شاعر فلكي لغوي نحوي ، له مشاركة تامة في كثير من المعارف الإسلامية ، وهو صاحبُ كتاب (الإكليل) في عشرة أجزاء ، ولد في صنعاء يوم الأربعاء ١٩ صفر سنة ٢٨٠ هـ وعاش فيها ثم أقام في صعدة ، كما جاور في مكة فترة من الوقت ، ثم عاد وجرت له أحداث كثيرة ، واعتقل بسبب حبه لبلاده واعتزازه بتاريخها القديم وإشادته بعظمائها وزعمائها . ثم انتهى به المطاف إلى رَيْدَة الْبوَن في الشمال من صنعاء ، وهي من معاقل العلم الشهيرة ،

فاستوطنها وصنّف فيها كتابه (الإكليل) وغيره ، وقد توفي بها في منتصف المئة الرابعة للهجرة أو قبل ذلك تقديراً .

نشوان بن سعيد الحميري :

وهو عالمٌ مبرز في اللغة ، والتفسير ، والنَّحو والصَّرف ، والأُصول والفروعِ ، والتاريخ والأَنساب ، وسائر فنون الآداب ، شاعرٌ ، فحل ، قوي الحبك ، وهو صاحبُ كتاب (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكُلوم) في اللغة والصرف والنبات وأَسماء البلدان والأَعلام وغيرها في أَربع مجلدات كبيرة ، وقد عاش في (هجرة حُوثِ) ، وربما ولد فيها ، فهو يقول عند ذكره (حوث) في موسوعته (شمس العلوم) « وبحوث كان مُقام نَشوان بن سعيد مصنف هذا الكتاب » . ثم قال :

بشاطئ حوثٍ من ديار بني حرب
لقلبي أَشجانٌ مُعَذِّبَةٌ قلبي

وقد تنقل ودعا إلى نفسه بالإمامة ، وتملك بعضَ النواحي ليجمعَ إلى مجد العلم ـ وقد تحقق له منه ما يريد ـ مجد السُّلطان ، ولكنه أَخفق فيه ، ولم يكتب له النجاح .

عاش آخر عمره في خولان بن عمرو من نواحي صعدة حتى توفي بالقرب من حيدان سنة ٥٧٣ هـ .

محمد بن إبراهيم بن علي الوزير :

عالمٌ محققٌ في علوم كثيرة ، مبرز في علوم الحديث ، مجتهد ، ترك التقليد ، ونعى على علماء عصره جمودهم عليه ، وحثهم على العمل بالكتاب والسنة ..

وهو صاحب المؤلفات الكثيرة وفي مقدمتها (العواصم والقواصم في الذَّبِ عن سنة أبي القاسم)[١] ، كان مولده في (هجرة الظهراوين) - وهي إحدى هجر آل الوزير - في رجب سنة ٧٧٦ هـ ، وتوفي بصنعاء سنة ٨٤٠ هـ .

يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم :

الإمام المؤيد ، وهو عالمٌ مجتهد ، مبرز في علوم كثيرة ، صاحب التصانيف الكثيرة ، وفي مقدمتها (الطراز في علوم البلاغة والإعجاز) ، و (الانتصار على علماء الأَمصار في تقدير

---

(١) طبع في تسعة مجلدات بتحقيق الأُستاذ شعيب الأرناؤوط ونشرته مؤسسة الرِّسالة .

المختار من مذاهب الإئمة وأقاويل علماء الأمة في الأسرار) في ثمانية عشر جُزءاً .

مولده في حُوث ، وقيل بصنعاء سنة ٦٦٩ هـ ، وأقامَ في (هجرة حُوث) ، ودعا إلى نفسه بالإمامة في شهر رجب سنة ٧٢٩ هـ ، وقيل سنة ٧٣٠ هـ ، ولم ينجح لوجود أئمة ثلاثة معارضين له ، وقد توفي بذمار في شهر رمضان سنة ٧٤٩ هـ .

أحمد بن يحيى بن المرتضى ، الإمام المهدي :

عالمٌ محققٌ في علوم كثيرة ، مبرزٌ في الفقه والأُصولين . له مؤلفات كثيرة أهمها (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) . دعا إلى نفسه بالإمامة في صنعاء سنة ٧٩٣ هـ ، ولم يكتب له النجاح إذ تغلب عليه الإمام علي بن صلاح ، واعتقله في سجن صنعاء ، ثم استطاع الفرار منه ، وتنقل في عدد من (هجر العلم) واستقر آخر أيامه في (ظفير حَجَّة) ، وهو في معاقل العلم المشهورة حتى توفي به سنة ٨٤٠ هـ .

صالح بن مهْدي المَقْبلي :

عـالم مبرز في علـوم كثيرة ، مجتهـد كبير ، نبـذ التقليـدَ ، وعمل بأدلـة الكتـاب العزيز ومـا صحَّ لـديـه من صحيح السنـة النبوية .

له مؤلفات نافعـة ، منهـا (العلمُ الشـامخ) ، و (المنـار في المختـار من جـواهر البحر الـزخـار) ، و (الأَبحـاث المسـددة) وغيرها .

دَرَس في (هجرة ثُلا) ، ولما اشتد إيذاء أعداء السُّنَّة له باع بيته ، وهاجر إلى مكة المكرمـة فـأقـام هنـاك حتى توفي بهـا في ربيع الأَول سنة ١١٠٨ هـ .

الحسن بن أَحمد الجلال :

عالمٌ مجتهدٌ ، مـال إلى العمل بـالسُّنَّـة ، لـه مؤلفـات كثيرة أبرزهـا (ضـوءُ النهـار على متن الأَزهـار) ، مـولـده في (هجرة رُغَـافـة) من جمـاعـة وأَعمـال صَعْـدة في رجب سنـة ١٠١٤ هـ ، وتوفي بالجراف في ضواحي صنعاء سنة ١٠٨٤ هـ .

يحيي بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد :

عالمٌ مجتهدٌ ، حافظٌ ، محقق في علوم السُّنَّـة ، مؤرخ . يعد أعلم علمـاء آل القـاسم على الإطـلاق ، ترك التقليـد ، وعمـل بالكتاب والسنة واشتغل بالتأليف ، وأهم مؤلفاته (أنبـاء الزمن في تـاريخ اليمن) و (طبقـات الـزيـديـة) (المستطـاب) . لم يبايع عمَّـه الإمـام المتوكل إسماعيل لأنـه أنكر عليـه أموراً[1] ، كما اعترض على القاضي أحمد بن سعد الدين المَسْوري برسالـة سماهـا (صوارم اليقين لقطع شكـوك القـاضي أحمـد بن سعـد الـدين) وجرى بينه وبين علماء عصره منـافرة وخصومـة لميلـه إلى العمل بالكتاب وبالسنة .

مولده في (شهـارة) سنـة ١٠٣٥ هـ وهي من معـاقل العلم الشهيرة ، ووفاته بصنعاء سنة ١١٠٠ هـ .

محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير :

عـالمٌ مبرزٌ في علـوم كثيرة ، ولا سيما علـومُ الحـديث ، فقـد

---

(١) منها جعله الأرض التي يمتد نفوذُ حكمه إليها خراجية ، وله رسـالـة أسماهـا (إرشاد السامع إلى جواز أخذ مال الشَّوافع) .

انفرد في عصره برئاسته . ترك التقليدَ واجتهد ، واشتغل بالتأليف ، ويعد (سبل السلام شرح بلوغ المرام) لابن حجر ، و (منحة الغفار على ضوء النهار) ، و (عدة الأحكام شرح عمدة الأَحكام) لابن دقيق العيد من أشهر مؤلفاته ، وقد كان له فضل كبير في نشر علوم السُّنَّة في (شهارة) وغيرها من (هجر العلم) .

مولده في (هجرة كُحلان) سنة ١٠٩٩ هـ وفيها نشأ وتعلم ، ثم انتقل مع أبيه إلى صنعاء فدرس فيها إلى أن بلغَ درجة الاجتهاد ، وبعد ذلك تنقل في هجر عديدة ، أبرزها شُهارة وتوفي بصنعاء سنة ١١٨٢ هـ .

عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن عبد الناصر :

عالمٌ محققٌ في فنون كثيرة ، مبرزٌ في علوم الحديث والتفسير ، اشتغل بالتدريس في (كوكبان) ، وهو من معاقل العلم المشهورة ، كما اشتغل بالتأليف ، وله مؤلفات كثيرة ، أكثرها رسائل : انتقل إلى صنعاء ، وعاش فيها حتى توفي سنة ١٢٠٧ هـ ، وكانت ولادته في (كوكبان) سنة ١١٣٥ هـ .

مُحمَّد بن علي بن محمد الشوكاني :

الإمام المجتهد ، شيخ الإسلام ، قاضي القضاة ، نبذ التقليد بعد أن اجتهد ، وبرع في علوم السُّنّة . وتصدر للتدريس في جامع صنعاء وتولى القضاء الأكبر . لثلاثة أئمة ، ومع ذلك لم ينقطع عن التدريس والتاليف ، وله مؤلفات كثيرة في التفسير والأُصول وعلوم السنة ، وأبرز مؤلفاته (نيل الأَوطار شرح منتقى الأَخبار) لابن تيمية ، و (الفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) و (السيل الجرّار المتدفّق على حدائق الأَزهار) ، ومولده في (هجرة شَوْكَان) سنة ١١٧٣ هـ ، ووفاته سنة ١٢٥٠ هـ .

أسباب زوال (هجر العلم) :

على الرَّغم مما كانت تتمتع به (هجر العلم) من حصانة ومنعة بفضل حماية القبائل لها فإن بعضها لم يسلم من حوادث الزمان وكوارث الأَيام ، فهذه (هجرة شوكان) قد داهمتها وحدةٌ من الجيش العثماني في المئة الحادية عشرة للهجرة فصبّحت سكانها

يـوم عيـد الأَضحى وهم مجتمعـون لصـلاة العيـد في مسجـدهم فلم يشعروا ـ كما ذكر صـاحب التقصـار ـ إلاّ بعسكر الأَتراك على أَبواب المسجد فقاتلوهم قتالاً عظيماً ، وقُتل من (الهِجْرة) جماعة وأُسر آخرون من كبارهم ، وعادوا بهم إِلى صنعـاء بعـد أَن خربوا بيوت سلف الإمام الشوكاني وغيرها .

والسبب في ذلـك أَن سكانها كانـوا يحرضـون القبـائـل على مقاتلة الوجود العثماني في اليمن ومحاربتهم تأييداً لإمـام عصرهم ، وذلـك كما جـاء في كـلام الإمـام الشـوكاني استطراداً في ترجمتـه لوالـده ، فقـد قـال : « وهـذه الهجرة ـ هجرة شوكان ـ معمورة بأَهل الفضل والصلاح والدِّين من قديم الزمان لا يخلو وجود عالم منهم في كل زمن ، ولكنه يكون تارة في بعض البطون ، وتـارة في بطن أُخرى ، ولهم عنـد سلف الأَئمـة جـلالـة عظيمـة ، وفيهم رؤساء كبار ناصروا الأئمـة ، ولا سيما في حروب الأَتراك فـإن لهم في ذلك اليدَ البيضاء ، وكان فيهم إِذ ذاك علماء وفضلاء يُعْرَفون في سائر البلاد الخولانية بـالقضـاة . كانوا يتفرقون في القبـائل ، ويـدعونهم إِلى الجهـاد ، ويحثونهم على حرب الأتراك ، وكان من

بصنعاء من الأتراك يغزون إلى هذا المحل غزوة بعد غزوة ، ويُخربون فيه البيوت ، ويعودون إلى صنعاء ، وغزوهم في بعض السنين في يوم العيد ، فلم يشعروا إلا وجنود الأتراك قائمون على أبوابه فقاتلوهم فَقتِل منهم جماعة ، وفر آخرون ، وأسر الأتراك أكابرهم ، ودخلوا بهم صنعاء[1] .

كذلك فقد أصاب (حصن ظفير حجة) وهو من هجر العلم ومعاقله أضرار جسيمة حينما اعتصمت به قوات الإمام الهادي شرف الدين[2] سنة ١٣٠٠ هـ لتتمكن من محاربة القوات العثمانية المرابطة في مدينة حَجَّة ، فاضطر المشيرُ محمدُ عزت باشا الوالي العثماني في اليمن إلى إرسال قوات من الجيش العثماني من صنعاء بقيادة أحمد رشدي بك ، وأتبعه بقوات أُخرى بقيادة رفيق بك ، وقصفت القوات العثمانية (ظفير حجة) بعدد من قذائف المدفعية أخربت بعض بيوته ، ثم اقتحمت القوات أسواره ، واستولت عليه[3] .

---

(١) الشوكاني ، البدر الطالع : ٤٨١/١ .

(٢) المتوفى في صعدة سنة ١٣٠٧ هـ .

(٣) محمد زبارة ، أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ١٨ .

ثم جرت لظفير حجة أيضاً حادثة أُخرى ، فقد استولت عليه قوات الإمام المنصور محمد بن يحي حميد الدين سنة ١٣٠٩ هـ لتجعل منه معقلاً لها ضد القوات العثمانية التي كانت في حرب مستمرة مع أتباع الإمام المذكور . وقد استطاعت القوات العثمانية أن تتنزعه منهم ، وأَن تستولي عليه بعد أَن أُصيب بأضرار فادحة[١] .

كذلك فقد تحصنت قوات الإمام المذكور في (هجرة القُوَيْعَة) من ناحية الشرف الأَسفل من نواحي حجة سنة ١٣١١ هـ ، وتحرشت بالقوات العثمانية المرابطة قريباً منها فردت عليها بقذائف مدافعها ، وأَصلتها ناراً حامية حتى تهدمت بيوتها ، وتفرق عنها سكانها ومن اعتصم بها . وهي اليوم شبه أَطلال .

وتعرضت (هجرة القارة) في ناحية جبل الشّرق من قضاء آنس لحرق بعض بيوتها من قبل الجيش العثماني بعد أَن

---

(١) المرجع نفسه : ٧١ ، ٧٧ .

أعلن الشيخ علي بن المقداد بن راجح الكنيعي[1] عصيانه على الدولة العثمانية في اليمن سنة ١٣٠٨ هـ مع أنه كان من أعوانها والعاملين معها ، فانضم إليه إخوانه وبنو عمه وكثير من مشايخ ورجال آنس ، فكانوا يهاجمون القوات العثمانية ، ويقطعون عليها الطرقات والإمدادات ، فجهزت القيادة العسكرية في صنعاء حملة كبيرة لمحاربته فلم تظفر به ، ولكنها أخربت بيوته وبيوت بني عمه فكبر عليه الأمر أن تخرب بيوته وتسلم بيوت الآخرين ، وكان على صلة قوية بالإمام المنصور محمد بن يحي حميد الدين منذ أعلن عصيانه للدولة العثمانية ، فكلف الشيخ علي المقداد مَنْ أشاع بأن القضاة آل الغَشْم يميلون إلى حكم الدولة العثمانية ـ مع أنه لا صحة لهذا الخبر ـ فخشي القضاة آل الغشم على أنفسهم وبيوتهم من عقوبة الإمام المنصور ، إذ كان يرسل من ينسف بيوت من يعمل مع الدولة العثمانية بالبارود[2] ،

(١) المتوفى سنة ١٣٤١ هـ .

(٢) للإمام المنصور محمد بن يحي حميد الدين المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ سجل مشهور في تدمير ونسف بيوت من كان يتعاون مع حكومة الدولة العثمانية في اليمن . وكان إذا ما عوتب على نسف البيوت بأن فيها أطفالاً =

فسارع القاضي أحمدَ بن مطهر الغشم وأخوه القاضي محمد بن مطهر الغشم بالسفر إلى (القَفْلَة) مقر الإمام المنصور لمقابلته ودحض الوشاية عنهم مع أن الإمام كان يعرف أن آل الغشم لا صلة لهم بالدولة العثمانية مطلقاً . ولما قابلا الإمام ألزمهما بالبقاء عنده ، ولم يسمح لهما بالعودة إلى آنس . فبقيا على كُره ، وذهب الشيخ علي المقداد إلى (هجرة القارة) وتحصن بها ثلاث مرات سنة ١٣١٩ هـ وسنة ١٣٢١ هـ وسنة ١٣٢٢ هـ فاضطرت القوات العثمانية إلى ملاحقته في كل مكان ينزل فيه ، فلما علمت بوجوده في (هجرالقارة) تبعته إلى هنالك فأحرقت بيوتها ، كما أخبرني القاضي العلامة محمد ابن إسماعيل الغشم .

هذا وقد جرت قبل ذلك أحداثٌ خطيرة لبعض (هجر العلم) أدت إلى خرابها وتدميرها ، فحينما اختلف الإمام المنصور عبد الله بن حمزة المتوفى سنة ٦١٤ هـ مع الفرقة المطرفية وهي إحدى فرق زيدية اليمن الملتزمة بمذهب الإمام الهادي بن يحي

= ونساء أجاب : بأن الصغار في الجنة والكبار في النار ، كما أخبرني العلامة الزاهد حمود بن عباس المؤيد يروى ذلك عن والده الذي كان أحد من نصح هذا الإمام بعدم خراب البيوت .

الحسين في الفروع ، إلا أنها كانت كالمعتزلة ترى أن الإمامة لا يختص بها أحد دون أحد ، فأغضب ذلك الإمام عبد الله بن حمزة ، وجرد نفسه لمحاربتها والقضاء عليها ، فشن حرباً شعواء على علمائها وقادتها ، وأباد خضراءهم وقضى على تراثها ، وحكم بأن مساجدها ضرارية ، كما ذكر ذلك أحمد بن عبد الله الوزير في كتابه (الفضائل) ، فأخربها كما أخرب هجرهم ، وكانت (هجرة القاعة) في مقدمة هجرهم التي أخربها وقال في ذلك :

لستُ ابنَ حمزة إن تركتُ جماعةً يتجمعون بقاعةٍ للمُنكرِ
فلأوردن البيض في أعناقهم وسنابك الخيلِ الجياد الضُمَّر

وأخرب أيضاً (هجرة الهراثم) في (وداعة) لتحصن الأمير يحي بن الإمام أحمد بن سليمان بها ضد الإمام عبد الله بن حمزة نفسه .

كذلك فقد أغار الملك المظفرّ يوسف بن عمر بن علي بن رسول بجيوشه على (حدَّة) و (سناع) سنة ٦٧٢ هـ حينما كانت القوات المناوئة لحكمه تعتصم بها ، فأخربها خراباً شديداً كما ذكر الخزرجي في (العقود اللؤلؤية) وكذلك فعل في حصن (ذي

مرمر) و (حصن كوكبان) فأخربها وهي جميعاً من معاقل العلم وهجره .

كما أن الإمام المنصور القاسم بن محمد أمر بهدم (ظفار الظاهر) وهدم سور (السودة) وهدم (عِيان) و (الوعلية) و (حصن كحلان) . وأمر ابنه الإمام المؤيد بهدم (حصن ذي مرمر) مرتين ، ثم عمر . وآخر ما تعرض للهدم كان على يد القوات العثمانية في مطلع القرن الرابع عشر للهجرة . وتعرضت هجرة (ضَمَد) وكانت (الذنبتين) وهي من معاقل العلم قد تعرضت في المئة السادسة للهجرة لقتل علمائها من قبل علي بن المهدي الرعيني وأولاده كما أخربت (أبيات حسين) على يدي الزعليين .

كما أن هنالك هجراً أُخرى أصابها الخرابُ والدمارُ لأَسباب مختلفة ، ولم يبق منها إلا أَسماؤها مثل (هجرة أَوطان) من بلاد مذحج ، ولا يعرف اليوم مكانها ، و (هجرة ذي غَبَب) من بادية ذمار ، و (هجرة شَيْزَر) من خبان بالقرب من (هجرة

الذاري) ، و (هجرة دَبَر) من مخلاف سنحان ، ولم يبق منها إلا أطلالها وكذلك مسجدها ، كما تقدم بيان ذلك .

وذكر صاحب (المواهب السينية) في أخبار سنة ١٢٢٧ هـ أن (هجرة الطرائف) من مخلاف الشاحذية من ناحية (الطويلة) قد غُزيت من قبل جماعة من حبار وأَنهم أَخذوها عنوة كأَنما طاف عليها طائف ، وقتل نحو تسعة رجال ونهبوا جميع ما فيها من الأموال .

ثم إن هجراً أَخرى ما تزال تحملُ اسم الهجرة مع أنه لم يبق فيها من يتصفُ بالعلم ، كما لم يبق لها ولا لأَهلها شيء من التهجير ، وقد صارت مثل عامة القرى الأُخرى مثل : (هجرة إسبيل) ، و (هجرة حسن سلمان) ، و (هجرة عَرام) و (هجرة مَنْقَذه) وجميعها في مخاليف ذمار ، و (هجرة قَرْوى) من خولان ، و (هجرة الكُمِيم) في مخلاف الكميم من ناحية الحدا ، و (هجرة وَقَش) في بني مطر .

كذلك فإن قرية (مَدَر) من أرحب ، كانت من الهجر المشهورة

منذ ألف عام ، ولكنها اليوم لا تحمل اسم (الهجرة) ، ولم يبق فيها ما يدل على أنها كانت من مراكز العلم .

أما أغرب ما تعرضت له بعض الهجر وأنكره فهو أن ينكث بعض القبائل ما تعهدوا به من الحماية للعلماء ولمساكنهم ، وأن يكون المُهَجِّرون هم مصدر الشر لما هَجَّروه ، فقد ذكر يحيى بن محمد بن حسن بن حميد المُقْرائي في كتابه (مكنون السّر في تحرير نحارير الشّر) ما حدث لهجرة (بَهْمَان) ، فقال : « نعم لما أشرف علينا زمنٌ تغير فيه أهلهُ ، وانخلعوا عن الدين ، ورفضوا الحق المستبين ، وآخوا الشيطان ، وعصوا الرَّسول حتى أفضى ذلك إلى هتك المحارم ، ولم يبق شيءٌ من قواعد القبائل ، قصد مَنْ قصد ممَّن اتصف بهذه الرذائل هَتك أهل العلم وأهل الفضل وإنزالهم عن درجاتهم ، وكان من أعظم ذلك أن قصد جماعة من القبائل الكافلين لهجرة (بهمان) بيت الفقيه عماد الدين يحيى بن علي بن رفيق الله لنهبه بالليل وطلعوا البيت من عرضه[1] ونهبوا ما فيه ، وقتلوا الفقيه ظلماً وتعدياً وهو متوفى

(١) وطلعوا البيت من عرضه ، أي تسلقوا البيت من أحد جوانبه الخارجية .

عن نفسه وماله ، فقُتِل شهيداً مظلوماً في أحد شهور سنة ٩٦٢ هـ .

ومن العجيب أن القبائل من نِهمْ وخولان الكافلين لهذه الهجرة لم يقوموا بواجبهم من الدفاع عنها في ذلك الحادث ، ولا ثأروا بحجته فيما هنالك ، بعد أن كانوا يقتلون القتلى الكثيرين ، ويثورون على ما هو دون ذلك .فنسأل الله السلامة » .

وكان المقرائي قد وصف (هجرة بهان) بقوله :

« وهذه الهجرة من محاسن الجهة[1] ، وأهلُها فقهاء وفضلاء أَهل معارف ، ونساؤهم كرجالهم في الديانة وقراءة القرآن وقد نشأ منهم جماعةٌ في هذا الزمان نرجو بلوغهم الدرجات العاليات » .

ثم قال : « وهذه الهجر ـ أي هجر بهان ـ هجّرها الأَعيان ، وصرفوا فيها العنايات ، وأخذوا لها الكفالات[2] من

(١) المراد بالجهة : جهة وادي الشر .

(٢) الكفالات : جمع كفالة ، وهي التعهد بالحماية .

القبـائل وأهل الـولا يـات ، وأسسهـا أهـاليهم على مقتضى حسن النيـات ، ووقف لهـا أهل الفضل والـديـانـات وعلى مسجـدهـا الوقوفات الصالحـات المعتبرات ، وجعلوا مصرفهـا من المستحقين وأهل الطرقات حتى صارت مقصودة لجميع الإدارات » .

كما وصف المؤرخ المقرائي أيضاً قبائل خولان ونهم في سياق كـلامـه على (هجرة الأبنـاء) وهي إحــدى هجر وادي السر ، وأنهم أوفياء ملتزمون بطاعة علمائهم وفضلائهم فقال مشيداً بهم :

« وكان أهل تلك الجهات يستحكمون لعلمائهـا وفضلائهـا ، ويمتثلون لأوامرهم ونواهيهم ، ولا يقـدمون إلا تبعـاً لإقـدامهم ، ولا يحجمون إلا تبعاً لإحجامهم حتى اهتدى أهل تلك الأزمان ، وسلك كثير منهم مجاري الشريعة المطهرة ، وتركوا ما يخالفهـا . وكانـوا يقـومـون بطلبـة العلم وغيرهم ، ويعينـونهم بـالإعـانـات النـافعـات التي تُفرِّغ قلوبَهم للعلم والطـاعـات لتحصيل الثـواب للجميع . وكان كثير منهم في غير دولـة الأئمـة يخرجون زكاتين : زكاة للدولة وزكاة للطلبة والمستحقين .

وكان جميع قبائل نهم وخولان مع كثرتهم واختلافهم ، لهم رؤساء وسلاطين يفيدون ويهتدون بمن في هذه الأماكن ويجلّلونهم ، ويفدون عليه للتبرك والتفقه في الدين وأعمال الدنيا والآخرة ويصلونهم بالواجبات ، ويبرّونهم من خالص مالهم بأنواع البر ، وكان لهؤلاء حكمة على قبائلهم يأتمِرون لأمرهم ، وينتهون لنهيهم ، ويقدمون بإقدامهم ويحجمون بإحجامهم . ليس على أهل السر ومن سكنه ضرر ولا عنف ولا تعد ، وكانوا لا يعاملونهم إلا معاملة مثلهم وجنسهم من سائر القبائل ، كل أمر لوجهه ، وليس أحد منهم يخالف ما أشار إليه عقالهم[1] فضلاً عن علمائهم وأهل الفضل منهم أو من سكن الأماكن ، فنسأل الله سبحانه أن يصلحهم ويهديهم إلى طريق النجاة وإلى طريق آبائهم وأجدادهم والأولين والمهتدين والصالحين وتُقلّب قلوبهم على ما هنالك » .

ويظهر أن ما حدث لهجرة (بهان) من الاعتداء على بيت القاضي يحي رفيق وقتله قد حدث منه شيء ما لهجرة

(١) العقال : جمع عاقل ، وهو زعيم القرية .

(الأبناء) فقد قال المقرائي : « وكان هذا المكان الذي هو الأبناء إلى هذه الفترة من محاسن بلاد صنعاء بل من محاسن بلاد الزيدية يفد إليه الخاص والعام من جميع الأقطار والأنام حتى حدث ما حدث ، ونزل ما نزل فنسأل الله سبحانه أن يحول ما نزل بنا إلى ما ذهب علينا » .

كذلك فقد أصاب العلماءَ آل عقبة بعضُ المحن ، ففي (مطلع البدور) لابن أبي الرجال في ترجمة علي بن أحمد بن محمد بن عقبة أن عقبةَ أشهرُ جدودهم ، وهو الملك المتأمّر على صنعاء وأعمالِها في بعض مدته ، وهو الذي بنى المساجد العظيمة في قَرْوَى موطنه ومسقط رأسه ، وكان له بها دارٌ تسمى (دار المناحل) وسط وادي قَرْوَى على قرية الحُميرا . وانحاز عقبةُ إلى قرية الحُميرا ليحصنها ضد عدوان بني بهلول وبني نصر حينما اعتدت عليه قبائلُ بني بهلول ونهبوا غنَمَه ، كما استولى بنو نصر على دار المناحل وما حولها فتفرق أولادُه في البلاد ، فذهب بعضُهم إلى آنس وسكنوا (الأَرْيَم) من مخلاف بني خالد فصارت هجرة لَهم ، وتعرف اليوم بهجرة (بني عقبة) ،

وبعضهم سار إلى هجرة (ساقين) من مخلاف خولان بن عمرو بعد أن أقاموا في هجرة (معين) في بادية مدينة صَعدة .

معاقل العلم

تنتشر معاقلُ العلم في سائر مناطق اليمن الأُخرى ، وهي التي ينتشرُ في أكثرها مذهبُ الإمام الشافعي ، وفي بعضها الآخر مذهبُ الإمام أَبي حنيفة ، فإن فيها قرىً عديدةً منبثةً في سهول البلاد وجبالها كانت مقصودةً لطلب العلم بما في ذلك (ربط العلم) التي كانت أيضاً منتشرة في كثير من مخاليف اليمن ، إلاّ أن هذه القرى لم تكن تدعى (هجر العلم) ، وإنما تدعى بأسمائها التي عرفت بها منذ نشأتها وتكوينها ، مع أَن كثيراً من دوافع ظهورها كمعاقل لنشر العلم يشبه إلى حد كبير ـ إذا ما استثنينا الجانب السياسي الذي يتعلق بالإمامة ـ دوافع ظهور (هجر العلم) .

فقد لجأ كثيرٌ من علماء الشافعية في مدينة زبيد ونواحيها

إلى قرى بعيدةٍ متفرقة في الجبال[1] فارين من حكم علي[2] بن مهدي الرُّعَيني الحميري الذي قتل هو وأولادُه عدداً كثيراً من الناس لأنه يختلف عنهم في العقيدة .

وقد بين لنا المؤرخُ عمارةُ اليمني في كتابه تاريخ اليمن المسمى (المفيد في أخبار صنعاء وزَبيد) حقيقة أمر هذا الرجل ومعتقده لأنَّه كان على علمٍ ودرايةٍ به ، فقد كانت بينهما صداقةً قويةً وصحبةً طويلة فقال : « وكان حنفي الفروع ، ثم أضاف إلى عقيدتهِ في الأُصول التكفيرَ بالمعاصي والقتلَ بها ، وقتلَ من

(١) ومن هذه القرى قرية ذي أشرق في وادي نخلان شمال الجَنَدَ بنحو عشرين كيلو متراً تقديراً ، فقد ذهب إليها عدد من العلماء الشافعية من زبيد وغيرها إلا أنهم سرعان ما اختلفوا مع فقهاء ذي أشرق لأن هؤلاء شافعية الفروع حنابلة الأُصول لا يتأولون المتشابه بينما كان علماء زبيد وفقهاؤها شافعية الفروع أشعرية الأُصول . ثم تحول علماء الشافعية في اليمن إلى أشعرية الأصول ، كما سيأتي بيان ذلك .

(٢) اشتهر أمره سنة ٥٣١ هـ وقد بايعه أصحابه بيعتين الأُولى سنة ٥٣٨ هـ ، ولم يكتب له النجاح فيها . ثم بايعوه مرة أُخرى سنة ٥٤٦ هـ ، وهناك تفصيلات أُخرى عند عمارة اليمني في كتابه تاريخ اليمن ٢٢٩ ـ ٢٣٧ ، وعند الديبع في قرة العيون : ٣٥٩ ـ ٣٧٣ ، والخزرجي في طراز أعلام الزمن .

خالف اعتقادَه من أهل القبلة واستباحة الوَطْي لسبايـاهم ، واسترقـاق ذراريهم ، وجعل دارَهم دارَ حرب يحكم فيـه حكمَه في أهلِ دار الحرب »[1] . وقال عمارة : « ولما بلغ ابنُ مهـدي مـابلغ من القوة زحف بأتباعه على مـدينـة زَبيـد فصُـدَّ عن دخولهـا ، وكان يقتل من أصحـابـه عـدد مـا يقتلُ من أهل زبيـد ، وبعـد اثنين وسبعين زحفاً على زَبيد واستمرار حصاره عليها نـال أهلَهـا الضررُ والجوعُ وأكلوا الميتـةَ من شـدة الجهـد والبلاء اقتحم أسوارَ زَبيد ، ودخلها يوم الجمعـة الرابع عشر من رجب سنـة ٥٥٤ هـ ، وأقام بها بقيـةَ رجبٍ وشعبـانَ وشهر رمضـان ، ومـات في شوال فكانت مدة ملكه شهرين وواحداً وعشرين يوماً » .

وتولى الأَمرَ بعده ولدُه مهدي بنُ علي بن مهـدي ، فـامتـد نفوذُه إلى الجند والمخلاف فقتل فيـه وفي نواحيـه مقتلـه عظيمـة ، ورمى جثثَ غالبهم في بئر جامع الجند ، وحرق المسجدَ بمن فيـه من الضعفاء والعجائز والعواكف والودائع والكتب والمصـاحف ،

---

(١) عمـارة اليمني ، تـاريـخ اليمن ٢٣٦ ، العرشي ، بلـوغ المرام : ١٧ ، اليماني ، بهجة الزمن : ٧١ .

وذلك في يوم الاثنين ١٤ شوال سنة ٥٥٨ هـ وقتل جمعاً من أهل الذَّنبَتَين[١] بعد أن هرب بعضُ الفقهاء منها إلى ذي عُرَاكض ، ثم عاد بعد هذه الحوادث البشعة إلى زَبيد فتوفي أول ذي الحجة من السنة نفسها فقام أخوه عبدُ النبي بن علي بن مهدي فأخرب جامع زبيد كما أحرق ما بقي من جامع الجند ، وقتل كثيراً من علماء الشافعية ، وأغار على قرية (الذَّنبَتين) فقتل من بقي فيها ، وخرج سنة ٥٥٩ هـ إلى جهة أبين فحرق أبينَ وقتل أهلها ، وخرج سنة ٤٦١ هـ إلى المخلاف السليماني ، فقاتل أهله فهزمهم ، ثم لحق طائفة منهم فقتلهم ، ومنهم الأمير الكبير وهاس بن غانم ، وأخذ أمواله وسبى حريمَه . وأرسل أخاه أحمد بن علي بن المهدي إلى الجند يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة ٥٦١ هـ فأحرق مدينة (الْجُوَة) ، وهي من مراكز العلم القديمة لأنه يوجد بها جنود للداعي عمران بن محمد بن سبأ ، كما قام بإعادة بناء جامع الجند كما ذكر الخزرجي في (العسجد المسبوك) .

---

(١) الذنبتين : قرية عامرة وتقع في الغرب الشمالي من الجند ، وكانت من معاقل العلم ، وذي عراكض : قرية عامرة ، تقع بالقرب من الذنبتين .

هذا وقد فر القاضي طاهر[1] بن يحي العمراني من حكم آل مَهْدي الرعيني إلى الحجاز بأهله . كما أن آل مهدي الرعيني أزالوا حكم القضاة بني أبي عقامة من تهامة .

ولم ينته طغيان بني مهدي الرعيني إلا بقدوم الملك المعظم شمس الدين توران شاه إلى اليمن سنة ٥٦٩ هـ فقضى على هذه الدولة التي دامت خمس عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوماً بالقضاء على عبد النبي بن علي بن مهدي وأخيه أحمد[2] .

ولما دعا الإمام عبد الله بن حمزة إلى نفسه بالإمامة سنة ٥٩٣ هـ وتملك مدينة حجّة وبعض نواحيها فر من المخلافة[3] الفقيه العلامة علي بن مسعود بن علي بن عبد الله السباعي الكثبي مع ستين طالباً من طلابه إلى جهة (خليفة) من نواحي

---

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن : ١٢٧/٢ اليافعي ، مرآة الجنان : ٣٩٠/٣ في حوادث سنة ٥٦٩ والخزرجي ، العسجد المسبوك ، الديبع ، قرة العيون : ٣٥٩ - ٣٧٣ .

(٣) المخلافة : بلدة خربةِ كانت بجوار الشغادرة في الجنوب الغربي من حجة .

المهجم في تهامة خوفاً من بطش الإمام عبد الله بن حمزة بالعلماء من غير مذهبه واتباعهم بعد أن قضى على فرقة المطرفية ، وهي فرقة من الزيدية بايعته وآزرته عند قيامه ، ثم اختلفت معه في مسائل فروعية اجتهادية كما جاء في (تاريخ آل الوزير) إذ ورد فيه أنها نفرت منه لأجل ما حدث منه من المخالفة للإمام الهادي في مسائل الفروع ، كما أنها كانت ترى أن الإمامة تصلح في المسلمين جميعاً فكفرها بالإلزام[1] وأنزل بها من العذاب والهوان ما لا يخطر بالبال حتى قضى عليها ، كما تقدم بيان ذلك .

وقد ظل الفقيه علي بن مسعود في تهامة حتى بلغه وفاة الإمام عبد الله بن حمزة سنة ٦١٤ هـ ، فعاد إلى بلدته المخلافة ، واستأنف حياته العلمية ، وأقبل عليه الطلاب من أماكن شتى للأخذ عنه والانتفاع بعلمه ، وكان يحضر دروسه مئتا فقيه ، ثم ما لبث أن فر من بلده مرة أخرى حينما امتد نفوذ الإمام المهدي أحمد بن الحسين صاحب ذي بين ـ الذي دعا إلى نفسه بالإمامة

(١) التكفير بالإلزام هو أن تلزم غيرك على ما تقول به ما لا يقول به ، كما في تاريخ آل الوزير .

سنة ٦٤٦ هـ إلى بعض نواحي حجة ، فأقام الفقيه علي بن مسعود في بلده (أبيات حسين) في وادي سُرْدُد من نواحي المَهْجم قديماً ، والزيدية حديثاً ، يدرس ويفتي حتى توفي بها سنة ٦٥٠ هـ .

كذلك فقد هاجر كثير من علماء زَبيد حينما سَنَّ ملوكُ بني رسول بدعة (سَبوت النخل) وهي احتفالات تستمر أياما من كل عام في موسم جني البُسْر والرُطَب ، كما ذكر ذلك الرحالة ابن بطوطة في رحلته فيخرج أهلُ زبيد رجالاً ونساءً وأطفالاً ، أفراداً وجماعات في مواكبَ يتقدمهم الفرسان والهجّانة ، ولا يبقى بمدينة زبيد أحد من أهلها ، ولا من الغرباء ، ويقام في النخيل الرقص والغناء ، كما يخرج أهل السوق لبيع الفواكه والحلوى .

وكان سلاطينُ بني رسول وملوكهم وأُمراؤهم ورجال دولتهم يذهبون إلى زبيد في هذه المناسبة من كل عام ليحضروا هذه الاحتفالات . وقد بالغ ابن المجاور في كتابه (صفة بلاد اليمن) كعادته فيما يكتب فقال - والعهدة عليه فيما تفرد به من

الحكايات التي يمكن أن تلحق بعضها بـالأساطير ـ « فـإذا فرغ النخل خرج الصغـار مع الكبـار والأخيـار مع الفجّـار بـالطبل بعدما يُلبسوا جَمَلاً عدة تامة من الأجراس والقلاقل ، ويُشد في رقبته المقانع والحُلي ، ويركب كل أربعـة من النـاس على جمل ، ونـاس على الشقــادف يمشـون إلى مسجــد مشرف على ســاحـل البحر ، ويسمى هـذا المـوضـع الفـازّة ، وينزل فيـه النسـاء مـع الرجـال خليـط مليـط !؟؟ وهم في شرب ولعب ورقص وقصف وزائد وناقص !!؟ وما يخرج إلى هذه الأمـاكن إلا في كل أسبوع يومين ، ويوم الاثنين ويوم الخميس ، وإذا رجعـوا من هنـالـك دخلوا البلد رأساً واحداً[1] .

ولمـا كان سـلاطين بني رسـول وملـوكهم يشجعـون إقـامـة هـذه الاحتفالات السنوية في مزارع النخيل على نحو يختلفُ عما رواه ابن المجاور فإن كثيراً من علماء زَبيـد هـاجروا منهـا إلى أمـاكن متفرقـةٍ من جبــال اليمن ، كما روى المــؤرخ يحي بن الحسين في كتابه (أنباء الزمن) بما لفظه : « رحل من زبيد قدر سبع مئـة

(١) ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن : ١/٨٠ ، ٨١ .

بيت من الفقهاء وأَهل النجدة والحمية وأووا إلى الجبال كبُرعَ وغيره وأنكر من هاجر منهم على من تخلف منهم في زَبيد ، وكتب أَحدهم إلى قريب له لم يهاجر قوله :

تَجنَّب عن زَبيد ولا تطاها ولاتَغرُرك يابنَ أخي زبيد
ففي يومِ السبوت ترى مساوٍ أتتها يومَ سبتهم اليهود

كما هاجر من زبيد أيضاً الشيخ الإمام أَبو الربيع سليمان بن موسى بن سليمان بن علي بن الجون الحنفي الأَشعري إلى الحبشة فأقام هناك في قريةٍ تدعى (رون) حتى توفي بها سنة ٦٥٢ هـ[(١)] .

وقد أدى هذا الصراع المذهبي ، والخلاف العقائدي بين الحاكمين والمحكومين إلى فرار من تمكَّن من العلماء من تحت سيطرة الحكام إلى قرى نائيةٍ بعيدة عن أَيديهم ، فتحولت تلك القرى لوجود العلماء بها إلى معاقل علمٍ للدرس والتدريس اخترنا منها عدداً قليلاً لذكرها هنا ، وهي :

---

(١) الخزرجي ، العقود الؤلؤية : ١١٩/١ .

أبيات حُسَين :

بلدةٌ خربة كانت في وادي سُرْدُد من أعمال لواء الحديدة ، ومكانها في الغرب من مدينة الزيدية بنحو ثلاثة كيلو مترات . كانت عامرة بالعلم والعلماء منذ المئة السابعة للهجرة ، واستمرت كذلك حتى أخربها الزعليون سنة ٨٥٥ هـ ، ومن علمائها :

إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد المقري الشاوري ، شرف الدين.

عالمٌ محققٌ في علومٍ كثيرة ، مبرزٌ في الفقه ، شاعرٌ أديبٌ . ولد في أبيات حسين في منتصف جمادى الأُولى سنة ٧٥٤ هـ وفيها نشأ وتأدب ، ثم رحل إلى زَبيد ، فأخذ عن شيوخ العلم بها . وقد تولى التدريس في المدرسة النظامية بها ، ثم في المدرسة المجاهدية في تَعِز . تصدر للرد على أَتباع ابن عربي في اليمن ، وجرت بينه وبينهم خصومات شديدة ومهاترات عنيفة .

له شعرٌ رائع ، ومنه القصيدة المخلّعة التي تقرأ على أُلوف

لوف من الوجوه ، كما ذكر الخزرجي في ترجمته له في (طراز أعلام الزمن) ومطلعها :

ملـــكٌ سما ذو كمال زانــــه كرم
أغنى الورى من كريم الطبع والشيم

وأما مؤلفاته فكثيرة وأعجبها كتابه (عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافي) ، فإذا قرئ على حسب سياق السطور فهو فقه ، وإذا قرئ العمود الأول الذي يخترق الصفحة فهو تاريخ الدولة الرسولية ، والعمود الثاني علم النحو ، وإذا قرئت أوائل السطور عموديا فهو علم العروض ، وأواخرها علم القوافي .

توفي بزبيد يوم الأحد آخر صفر ، وقيل رجب ، سنة ٨٣٧ هـ .

الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي الأهدل

الحافظ المحدث . كان من مشاهير علماء السنة ، رحل إليه الناس للأخذ عنه بعد أن طار صيته ، وشاع ذكره . وكان له

موقفٌ مشهورٌ ضد أتباع ابن عربي ، وصنف كتابا سماه (كشف الغطا عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين) ، فرغ من تأليفه سنة ٨٣٠ هـ[١] ، وله (تحفة الزمن في أعيان سادات اليمن) ، وله مؤلفات كثيرة أخرى . توفي بأبيات حسين صبيحة يوم الخميس ٩ محرم سنة ٨٥٥ هـ .

أُنامِر

كانت إحدى قرى العوادر القديمة في مشرق الجند من أعمال تعز ، سكنها العلماء بنو مُفَلِّت ، ومنهم :

إبراهيم بن عيسى بن علي بن مفلّت .

عالمٌ محققٌ في أصول الفقه وفروعه . درس في (المدرسة الشقيرية) في الجند ، وبقي هنالك حتى توفي في غرة ربيع الأول سنة ٦٩٠ هـ .

عمر بن علي بن سَمُرة بن الهيثم الجعدي :

عالمٌ محققٌ في الفقه ، مؤرخٌ . ولي القضاء في أماكن متعددة

(١) حققه الدكتور أحمد بكير ، ونشره في مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل سنة ١٩٦٤ .

من الخلاف ، وانتهت إليه الرئاسة في الفتوى ، ثم تولى القضاء في أبيْنَ ، ولعله توفي بها بعد سنة ٥٨٦ هـ . وكان مولده في أُنامر سنة ٥٤٧ هـ . له : (طبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار سادات رؤساء الزمن ومعرفة أنسابهم ، ومعرفة أعمارهم ، ووقت وفاتهم)[1] .

الجَعَامي :

قريةٌ عامرةٌ في عزلة (يَرِيْس) من ناحية حُبَيشْ وأعمال إبّ ، ومن علمائها :

زيد بن الحسين بن محمد بن ميمون الفائشي :

عالمٌ مبرزٌ في القراءات والتفسير والحديث واللغة وغيرها ، انقطع للتدريس ، وكانت مدرسته في (الجعامي) ، وجمعت خزانته من كتب الفقه ما يزيد على خمس مئة كتاب . وله كتاب التهذيب في الفقه . مولده في شوال سنة ٤٥٨ هـ ووفاته في رجب سنة ٥٢٨ هـ ، وقيل سنة ٥٢٧ هـ .

---

(١) نشره الأُستاذ فؤاد سيد سنة ١٣٧٧ (١٩٥٧) بتحقيقه وتعليقه .

الجؤة :

بلدةُ خربةُ تحت حصن الدُّمْلُوة من جهة الشرق ، وهي من ناحية الصُّلو وأعمال تعز ، كانت من معاقل العلم المقصودة ، وممن سكنها :

ـ عبد الملك بن محمد بن ميسرة اليافعي ، الشيخ الحافظ المحدث

كان إماماً في الحديث ، ثبتاً في النقل ، عارفاً بطرق الحديث ورواته . سكن الجؤة . واشتغل بالتدريس ونشر العلم فانتفع به كثيرون ، ثم انتقل عنها بآخرة إلى قرية (القُرَيْن) بالحاظنة فمات يوم الاثنين ٢٣ رجب سنة ٤٩٣ هـ .

جيا

قرية عامرة كانت من معشار حصن خَدِد ، وهي اليوم من عزلة الصّدر من ناحية حُبَيش وأعمال إبّ . وممن درّس بها :

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن سالم

عالمٌ محققٌ في القراءات السبع والحديث والتفسير واللغة

والفقه والأُصول وغيرها . سكن جيا واشتغل بالتدريس والفتيا ، وقصده الطلاب للأَخذ عنه من أماكن شتى من اليمن . مولده في بلدة (المخادر) في شوال سنة ٧٦٠ هـ ووفاته في ذي الحجة سنة ٨٣٩ هـ .

حَرَض

بلدةٌ عامرةٌ في تهامة شمال ثغر اللُّحية ، وهي أَعمال حجّة . وكانت من مراكز العلم المشهورة ، ومن العلماء الذين كانوا فيها :

يحي بن أبي بكر محمد بن يحي العامري

عالمٌ حافظ محدث . اشتغل بالعلم درساً وتدريساً وتأليفاً ، له جُملة مؤلفات ، منها :

(بهجة المحافل ، وبغية الأَماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل) ، و (الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة) ، و (غربال الزمان في وفيات الأعيان) ، ويسمى (غربال الزمان المفتتح بسيرة سيد ولد عدنان) ، وقد حققه وعلق عليه ونشره القاضي عبد الرحمن بن

يحي الإرياني سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م . مولده سنة ٨١٦ هـ وقيل سنة ٨١٧ هـ ، ووفاته بحرض في العاشر من جمادى الأولى سنة ٨٩٣ هـ .

حرف وُصاب

كان من معاقل العلم ، ولم يبق منه اليوم إلا دار وبضعة بيوت صغيرة ، ويقع في مخلاف جَعُر من وُصاب العالي وأعمال ذمار ، وكان يسكنه العلماء آل الحُبَيْشي ، منهم :

ـ عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبد الله الْحُبَيشي :

عالمٌ مبرزٌ في التفسير والحديث واللغة والأُصول والفروع ، شاعرٌ أديب ، خطيبٌ فصيح ، تولى القضاء في ناحيته ، ثم استدعاه الملك المجاهد علي بن داود بن رسول سنة ٧٤٠ هـ للتدريس في (المدرسة المؤيدية) بتعز فأَقام بها سنة ، ثم عاد إلى بلده ، وله (إحكام الرئاسة في آداب أَهل السياسة) ، و (الإرشاد للأَمراء والعلماء والمتكسبين والعباد) . مولده يوم الخميس سنة ٦٦٥ هـ ، وتوفي ليلة السبت ٨ جمادى الآخرة سنة ٧٨٠ هـ .

الذَنَبَتين

قريةٌ عامرةٌ مشهورة في بادية الجند من أعمـال تعز. كانت من المعـاقل المقصودة لطلب العلم ، وكان بهـا كثير من العلمـاء ، منهم :

علي بن أحمد بن أسعد بن أبي بكر الأصبحي :

عالم محقق في فقـه الإمـام الشـافعي ، ولم يكن لـه نظير في عصره ، وكان المرجوع إليـه في الفتوى . استـدعـاه الملـك المظفر يـوسف بن عمر بن علي بن رسـول ، وطلب منـه أن يـدرس في مدرسته (المظفرية) في تعز ، فقبل فدرس بهـا فترة قصيرة ، ثم عاد إلى بلده الذنبتين ، وانقطع للتدريس والتأليف . له (أسرار المهـذب ، وغرائب الشرحين) ، و (شرح الرافعي والعجلى) ، و (معين أهل التقوى على التدريس والفتوى) .

مولده في ذي الحجة سنة ٦٤٤هـ ووفاته في المحرم سنة ٧٠٣هـ .

ذي شرق

قريةٌ عامرةٌ في وادي نَخْلان شمال الجند بنحو ٢٠ كيلو متراً تقديراً ، وهي اليوم من ناحيـة السيَّـاني وأعمـال إبّ ، كانت من

القرى المزدهرة بالعلم والعلماء ، وصفها الجندي في كتابه السلوك فقال : « وهي من القرى المباركة خرج منها جمعٌ من العلماء » . منهم :

الحسن بن إسحاق بن أبي عباد

عالمٌ مبرزٌ في النحو ، شاعرٌ أديب ، كان يُرحل إليه للأخذ عنه في علم النحو ، وكان إذا تكلم بين العامة لا يتكلف في حديثه الإعراب فعاتبه بعضُ أصحابه في ذلك ، فقال :

لعمرك ما اللَّحنُ من شيمتي ولا أنا من خطأٍ ألحنُ
ولكن عرفت لغات الرجال فخاطبتُ كلا بما يحسن

كان حياً في آخر المئة الرابعة وأوائل المئة الخامسة ، له مختصر في النحو .

ذي السُّفال

بلدةٌ عامرة في أعلى وادي ظُبا شمال الجند بنحو ٢٥ كيلو متراً تقديراً ، وهي اليوم مركزُ ناحية السُّفال من أعمال إبّ . كانت من القرى المشهورة والمقصودة لطلب العلم ، من أعلامها .

صالح بن عمر بن أَبي بكر بن إسماعيل البُرَيْهي السَّكْسَكي

فقيـه ، فرضي ، نحوي ، لُغـوي ، عـارفٌ بـالحسـاب والجبر والمقابلة . انتهت إليه رئـاسـةُ الفتوى في ذي السَّفـال ، درس في (المدرسة الفاخرية) ، من مؤلفـاتـه : (الشـافي في شرح الكافي في الفرائض للصردفي) ، و (اللوامع في أُصول الفقه) .

توفي بذي السفال ليلة الجمعة ١٣ شوال سنة ٧١٤ هـ .

ذي عُقَيْب

قريةٌ عامرةٌ في عزلة وَرَاف من نـاحيـة ذي جِبْلـة وأَعمـال إبّ ، كانت قريةً عامرةً بالعلم والعلماء ، وكانت من مساكن ملوك بني رسول . أشهر علمائها :

عمر بن سعيد بن أبي السعود الهَمْداني

عالمٌ مبرزٌ في الفقه ، انتهت إليـه رئـاسـة العلم بهـا ، مولـده سنة ٦١٠ هـ ووفاته بها في ذي الحجة سنة ٦٦٣ هـ .

رباط أَثعب

قريـة صغيرة من نواحي لـواء البَيْضـاء ، وكان مشهـوراً في عصر الدولة الرسولية .

رباط الأَحكل

في عزلة إرياب من أَعمال يريم . لا يعرف تاريخ مؤسسه ولا اسمه .

رباط بَاقِل

في جبل حُفاش شمال (الصَّفَقَين) مركز الناحية من أَعمال المحويت ، من علمائه :

علي بن عطية بن علي بن عطية الشغدري

فقيهٌ فرضيٌ ، مقرئ ، نحوي لُغوي ، له منظومةٌ في القراءات السبع ، ومنظومة في النحو ، مولده ٦٥٠ هـ تقريباً ، وتوفى لبضع وعشرين وسبعمئة .

رباط البُرَيْهي

محلة صغيرة عامرة في الشرق من ذي السُّفال ؛ ويفصل بينهما السائلة ، وقد أَسس هذا الرباطَ محمدُ بنُ أَبي بكر البريهي فبنى له بيتاً ، ثم انتقل إليه من ذي السفال ، وبنى الرباط وأَقام فيه حتى توفي سنة ٧٣٣ هـ عن ٨٢ سنة . وقد ظل هذا الرباط مقصوداً لطلب العلم حتى عهد قريب .

رباط البطاح

في زَبِيد ، ولا يزال مقصوداً لطلب العلم ، ويقوم بالتدريس فيه في المدة الأخيرة العلامة أحمد بن داود البطاح .

رباط بني حسين

غير معروف المكان ولا المؤسس له .

رباط تَبَّة

في عزلة بني عواض من ناحية (بعدان) وأعمال إب . كان من المعاقل المقصودة لطلب العلم .

رباط تريم

في مدينة تريم من مخلاف حضرموت. كان من معاقل العلم المشهورة

ومن أربطة العلم في زبيد الرباطان التاليان :

رباط الجامع الكبير

رباط جامع الغصين

ويقال إنه من عهد الأيوبيين ، والله أعلم .

رباط الحَبَشِي

في سيؤون من مخلاف حضرموت ، بناه علي بن محمد بن حسين الحَبشي عام ١٢٩٦ هـ ، وجعله ملصقاً لمسجده الرياض . كان عالماً جليلاً ، تولى التدريس في الرباط بنفسه ، مولده سنة ١٢٥٩ هـ ووفاته سنة ١٣٣٣ هـ ، وقد درس بعده تلاميذه مثل محمد بن حامد السقاف ، ومحمد باطويح ، ثم تلاميذ تلاميذه كعبد الله عمر مولى خليله ، ومحفوظ مشعبي .

رباط الحَوّارة :

من عزلة مُقْنِع من مخلاف الشِّعر وأعمال إب . لا يعرف تاريخ نشأته ولا من بناه ودرَّس به .

رباط الرميتي :

في عزلة بني مِسلْم من ناحية يريم . لا يعرف تاريخ بنائه ولا من بناه .

رباط السعيدي :

في عزلة بني سيف العالي من ناحية يريم ، وهذه العزلة اليوم من ناحية رحاب وأعمال إب .

أسسه رباطا القاضي إسماعيل بن محمد السَّعيدي في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري .

رباط سلطانة الزبيدية :

من أَقدم الأَربطة التي شيدت في حضرموت . بنته بالقاره قرب بلدة سيؤون الشيخة العالمة سلطانة الزبيدية في المئة الثامنة للهجرة .

رباط الشّعري :

من عزلة بني مُنَبِّه وأَعمال يريم . لا نعلم من أَسسه ولا في أَي تاريخ بُني .

رباط صالح :

في عزلة فجرة العود من مخلاف العود وأعمال النادرة ، ومن أَعمال إب ، لا نعرف شيئاً عن الباني ولا عن تاريخ بناءه .

رباط آل طيب :

يقع في أسفل جبال خولان بن عمرو من نواحي صعدة .

رباط علي بن يوسف بهاية :

في الربع الأَعلى من مدينة زَبيد ، وله رباط آخر مهجور .

رباط عِمْران :

في مخلاف جبل الدار من أعمال ذمار . بناه أحد جدود المشايخ بني عمران ، مشايخ جبل الدار ، وقد ورد لهم ذكر في الدولة الرسولية .

رباط الغيثي :

في قرية المَعَاين في الضاحية الغربية لمدينة إب . بناه جمال الدين بن علي بن بشر بن مطرِّف الهمداني الملقب بالغيثي[1] من أعلام المئة السابعة ، سكن المعاين ، وبنى هذا الرباط ورزق مالاً كثيراً فاشترى المزارع المحيطة بهذه القرية وبقرية أَبلان ومزارع أُخرى في الظهار والسحول ، ووقفها طعاماً للوافدين إلى رباطه ، ولطلبة العلم ولمن يدرِّس به ، وبنى لهم منازل للإقامة بها .

وقد استمر هذا الرباط مزدهراً بالعلم والعلماء من تاريخ

---

(١) لقب بالغيثي نسبة إلى الشيخ أبي الغيث بن جميل المتوفى سنة ٦٥١ هـ في بيت عطا من وادي سَرْدَد في تهامة ، وكان من كبار رجال الصوفية وكان ومن سلك طريقه من مريديه فإنه يضيف إلى لقب الغيثي انتساباً إليه في الطريقة .

تأسيسه حتى نهاية العقد السَّادس من المئـة الرابعـة عشرة للهجرة حينما أمر الحسن بن الإمام يحي حميد الـدين حـاكم إب بتحويل أوقافه لأُمور أُخرى فتعطل التدريس به ، ولما اعتُرض عليه أمر باعتقال القـاضي محمـد بن علي الأكوع ، مـدرس الربـاط وبعض طـلابـه ممـادفعهم بتصرفـه هـذا إلى الانضمام إلى صفـوف الأحرار ومناوأة حكمه هو ووالـده الإمـام يحي وأخوه الإمـام أحمـد سنـة ١٣٦٣ هـ/١٩٤٤ م .

رباط الْغَيْثي :

في عزلة حَيْسان من مخلاف بَعْدان وأعمـال إب ، لا نعلم من الذي بناه ، ولا في أي تاريخ بني .

رباط الفرحانية :

في ضاحية مدينة زبيد ، غير معروف اليوم .

رباط القلعة :

في وسط قـاع الحقل (حقل قِتَـاب) أو (حقل يَحْصب) مـا يـزال عـامر البنـاء ، ولا يعرف من الـذي بنــاه ، ولا في أي تاريخ بُني .

رباط الكدهية :

في الأخلود في بلاد تعز ، بناه الشيخ غلاب بن علي من أعيان أواخر المئة الثامنة وأوائل المئة التاسعة .

رباط المقارنة :

في ناحية أسلم من حجور وأعمال حجَّة .

رباط هيوه :

في عزلة الصِفي من ناحية المخادِر من أعمال إب ، لا يعرف تاريخ بنائه ولا من بناه .

رباط يحيى بن عمر الأهدَل :

في مدينة زَبيد ، ويقع بجوار مسجده ، وله رباط آخر في المسجد نفسه ، وهو مهجور .

الرّعاع :

إحدى قرى مخلاف (لَحْج) وتقع شمال الحُوطة (مركز لحج اليوم) بنحو ثلاثة كيلو مترات أو أكثر تقريباً ، وآثارها باقية على تل بارز يسمى (كَدَمة الرعارع) . سكن بها بعض ولاة عدن كما قال علي بن زياد المداربي بقوله :

خلت الرعارع من بني المسعود فعهودهم عنها كغير عهودي
حلَّت بها آل الزريع وإنما حلت أسودٌ في مقام أسود

وقد خرج منها جماعة من العلماء والأعيان وفي مقدمتهم :

- موسى بن طارق الرعرعي اللَّحجي ثم الجَندي ثم الزَّبيدي ، الإمام الحافظ ، أبو قرة السكسكي .

كان مشهوراً بالفضل والعلم ، وكان يتردد بين الجند ولحج وزبيد ومكة . له مؤلفات في الفقه انتزعها من فقه الإمام مالك ، والإمام أبي حنيفة ، والحافظ معمر بن راشد ، وابن جريج ، وسفيان الثوري ، وابن عُيَيْنة ، لأنه لقيهم جميعاً . صنف كتابه (السنن الجامع) المشهور ورتبه على أبواب الفقه ، كما قال الحافظ ابن حجر ، ولا يقول فيما يروي من الأحاديث : حدثنا ، وإنما يقول : ذكر فلان . توفي بزبيد ٢٠٣ هـ .

سَهْفَنَة :

قريةٌ عامرةٌ تدعى اليوم (سَفَنة) بحذف الهاء . وتقع ما بين ذي السُّفال شمالاً والقاعدة جنوباً وهي إلى القاعدة أقرب .

أبرز علمائها :

القاسم بن محمد بن عبد الله الجُمَحي القرشي :

عالمٌ محققٌ في علوم القرآن والحديث والأصول والكلام والفقه ، قدم أسلافه إلى اليمن من مكة عند اختلاف أُمرائها فسكنوا سهفنة وتديروها ، وقد انتشر عن القاسم بن محمد مذهبُ الإمام الشافعي في مخلاف الجند وصنعاء وعدن وأَبين ولحج ونواحٍ من إبّ وغيرها . وقصده الطلابُ ـ بعد أن اشتهر ـ من أماكن كثيرة من اليمن ، وكان يدرسهم في مسجدٍ بسهفنة يسمى مسجد قاسم ، توفي سنة ٣٤٧ هـ بسهفنة .

الشَّرْجَة :

قريةٌ خربةٌ في وادي زَبيد ، وكان يقال لها : شرجة حَيْس للتمييز بينها وبين شرجة حَرَض وينسب إليها :

عبد اللطيف بن أَبي بكر عمر الشرجي ، سراج الدين :

عالمٌ مبرزٌ في النحو وفقه الحنفية ، كان يدرس النحو في (المدرسة الإصلاحية) ، والفقه في (المدرسة الدَّحمانية) . اجتمع له كتبٌ كثيرة بعضها بخطه ، وقد ضبطها أَجود ضبط على

الأُمهات المنسوبة إليها . له (الاعلام بمواضع اللام) ، و (المحرر في النحـو) ، و (ائتـلاف النصرة في اختـلاف نحـاة الكـوفـة والبصرة) مطبوع .

مـولـده في الشرجـة سنـة ٧٤٧ هـ ، ووفـاتـه سنـة ٨٠٢ هـ وقيل في المحرم سنة ٨٠٣ هـ .

عَرَشَانِ :

قريةٌ عامرةٌ في عزلة المَكْتَب من نـاحيـة ذي جِبْلـة وأعمـال إبّ ، وكانت من القرى المقصودة لطلب العلم . ينسب إليها :

علي بن أَبي بكر بن حِمْيَر بن تُبّع بن يـوسف بن فضـل الهَمداني العرشاني :

الإمامُ الحافـظ المحـدث ، كان مبرزاً في علم الحـديث متقنـاً لمتنه ، عالماً بصحيحـه ومعلولـه ، وعـارفـاً برواتـه ، وكان يكره الخوض في علم الكلام . اشتغل بتدريس علم الحديث في عرشـان وفي الضهابي وعدن ، فأَخذ عنه خلق كثير .

مولده سنة ٤٩٤ هـ وتوفي بعرشان في ٢٠ ذي القعدة سنة ٥٥٧ هـ .

المزجاجة

قريةٌ خربةٌ في أسفل وادي زَبيد ، ينسب إليها العلماء بنو المزجاجي ، وهم على مذهب الإمام أَبي حنيفة ، منهم :

صِدِّيق بن علي المزجاجي ، عالمٌ محققٌ في فقه الحنفية .

ذهب إلى المخاء للتدريس بها ، ثم قدم إلى صنعاء في شهر ذي الحجة سنة ١٢٠٣ هـ ، فاجتمع بشيخ الإسلام الشوكاني ، وأجاز كل منهما الآخر . وقال الإمام الشوكاني في (البدر الطالع) في ترجمته : « وفي بعض المواق بمحضر جماعةٍ وقعت بيني وبينه مراجعةٌ في مسائل ، وأكثرت الاعتراضَ على مسائل من فقه الحنفية ، وأوردت الدليلَ ومازال يتطلبُ المحاملَ لما يقوله الحنفية ، فلما خلوتُ به قلت له : أصدقني هل ما تبديه في المراجعة تعتقده اعتقاداً جازماً فإن مثلَك في علمك بالسنة ولا يُظَنُّ به أَنه يُؤثر مذهبَه الذي هو محض الرأي في بعض المسائل على ما يعلمه صحيحاً ثابتاً عن رسول الله ﷺ فقال « لا أعتقد صحةَ ما يخالف الدليل ، وإن قال به من قال ، ولا أَدينُ اللهَ بما يقوله أَبو حنيفة وأَصحابُه إذا خالف الحديث

الصحيح ، ولكن المرءَ يدافعُ عن مذهبه في الظاهر » !!!

مولده سنة ١١٥٠ هـ وتوفي سنة ١٢٢٩ هـ .

مَصْنَعة سَيْر

كانت من معاقل العلم الشهيرة ، وهي اليوم خربة ، وتقع في وادي سير من مخلاف صُهْبَان وأعمال إب ، بدأ عمرانها في بداية المئة السادسة فكانت موئلاً لطلبة العلم وشيوخه ، ومعظم المدرسين والمفتين والفقهاء والمحققين ، وكان غالب تفقههم فيها ، وقد ظلت مزدهرة بالعلم إلى أن نكب بنو العمراني على يد الملك المؤيد داود بن علي بن رسول سنة ٦٩٧ هـ . وأشهر علمائها :

يحيى بن أبي الخير بن سالم العِمْراني :

إمام مبرز في الفقه وأصوله ، له مشاركةٌ قوية في غيره من العلوم . انتهت إليه رئاسةُ العلم والفتوى في عصره ؛ فكان يُرحل إليه من أماكن شتى . تنقل في بعض معاقل العلم . عاش في مصنعة سَير ، ثم ذهب إلى ذي السفال ، ومنها إلى ذي اشرق فأقام بها سبع سنوات ، ثم ذهب إلى ضراس حينما زحفت جنود ابن مهدي الرعيني إلى الجند ، فأقام بها مدة ، ثم انتقل إلى ذي

السفال مرة أُخرى ، فلم يلبث غير عام حتى فارق الحياة سنة ٥٥٨ هـ ودفن بها ، وكانت ولادته في مصنعة سير سنة ٤٨٩ هـ ، وقد كانت حياته كلها موزعة بين الدرس والتدريس والتأليف ، وله مؤلفات كثيرة أهمها : (البيان في فقه الشافعية) في عشرة مجلدات .

محمد بن موسى بن الحسين بن أسعد بن عبد الله العِمراني

عالم مبرزٌ في الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والنحو ، والصرف ، واللغة ، والأُصول ، والفرائض ، والحساب ، والدور والجبر والمقابلة . مولده سنة ٤٩٩ هـ ، وتوفي بمصنعة سير يوم الأَربعاء لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان ، وقيل لثلاث عشرة سنة ٥٦٨ هـ .

ـ محمد بن أَسعد بن محمد بن موسى بن الحسين بن أسعد العمراني :

القاضي بهاء الدين ، قاضي القضاة ، وزير الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، عالم محقق في الفقه ، خطيبٌ ، سياسيٌ ، شاعرٌ أديب ، كان يحبه العلماء ويحبهم .

أَول من جُمع له بين الوزارة والقضاء باليمن في عهد الملـك المظفر الرسولي ، بنى مدرسة لـه في مصنعـة سير . مولـده سنـة ٦١٨ هـ ووفـاتـه في نصف ربيـع الأَول سنـة ٦٩٥ هـ . وقـد ترك مجموع شعر ونثر في مجلد كبير .

المَلْحَمَة

قرية عامرةٌ في وادي الجَنَّات في السَّحول شمال شرق مدينة إب .
من علمائها :

محمد بن مضمون بن عمر بن محمد بن عمر بن أَبي عمران .

عالمٌ محققٌ في الفقـه ، والتفسير ، والحـديث ، نحوي ، لغوي ، أُصولي ، شاعر . استدعاه الملـك المنصور عمر بن علي بن رسول إلى تعز ليـدْرَسَ عليـه ، كما طلب منـه أَن يُـدرّسَ في (مـدرستـه الوزيرية) التي بناها في تعز فوافق ثم رجع إلى بلده .

مولده يوم الخميس ١٧ شعبان سنة ٥٥٩ هـ ووفاته بالملحمـة في محرم سنة ٦٣٣ هـ .

مَوْزَع

بلدةٌ عامرةٌ من ناحية المَخاء وأَعمال تعز . من علمائها :

محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم الخطيب :

عالمٌ مبرزٌ في الفقه ، والأُصول ، والنحو والبيان واللغة . توفي بموزع بعد سنة ٨٢٠ هـ . من مؤلفاته (البيان في أحكام القرآن) .

الناشرة

قرية عامرة في عزلة بني جامع في وادي مُور ، بنيت في أول المئة الخامسة ، وإليها ينسب آل الناشري وهم علماء مشهورون ، منهم :

- أبو بكر بن علي بن محمد بن أبي بكر الناشري

عالمٌ محققٌ في الفروع والأُصول ، ولي القضاء في حَيْس ثم عزل نفسه ، واشتغل بالتدريس في (المدرسة السيفية) بزبيد ، ثم في (المدرسة الشمسية) في تعزْ ثم في (المدرسة الصلاحية) في قرية (السلامة) ، كما درّس مدةً في (المدرسة الأفضلية) بتعز . توفي بالسلامة في جمادى الآخرة سنة ٧٧٢ هـ .

- عثمان بن عمر بن أبي بكر بن علي بن محمد الناشري :

عالمٌ محققٌ في الفقه والقراءات ، مؤرخ . تولى التدريس في

(المدرسة الظاهرية) في تعز ، ثم انتقل إلى إبّ فدرّس في (المدرسة الأسدية) ، وفيها توفي سنة ٨٤٨ هـ . من آثاره (إيضاح الدرة المضية في قراءات الثلاثة الصحيحة) ، و (البستان الزاهر في طبقات علماء بني ناشر) .

النظاري

قريةٌ عامرةٌ في عزلة الحَرَث من مخلاف بَعْدان وأعمال إب . كانت من القرى المشهورة بالعلماء ، ينسب إليها :

ـ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله النظاري ، وجيه الدين : أحد وزراء الدولة الأشرفية ، عالمٌ محققٌ في الفقه ، نحوي لغوي ، له شعرٌ حسن ، وترسل بليغ ، نال مكانةً عالية لدى الملك الأفضل العباس بن الملك المجاهد ، فكان أول من يدخل عليه وآخر من يخرج من عنده ، وقد ولاه شد الأوقاف في اليمن ، ثم فصله عنها ، وولاه بعض الحصون .

فلما تولى الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل بعد وفاة والده أبقاه على ما كان عليه ، وقلّده أمرَ وزارته ، واختصه بمشورته ، فنفس عليه هذه المكانةَ أشخاصٌ سعوا في إزاحته عن

رتبته ، وأفسدوا مابينهما ، فأمره بالإرتفاع عن بلاده ، فذهب إلى اليمن الأَعلى سنة ٧٨٣ هـ ، وبقي إلى أوائل سنة ٧٩٥ هـ ، ثم أعطاه الأَشرف الأَمان فعاد إليه وأَكرمه . توفي بزبيد يوم الجمعة ٦ شوال سنة ٧٩٥ هـ .

محمد بن محمد بن معان النظاري ، الأَمير جمال الدين :

كان من أَعيان دولة الملك السلطان عامر بن عبد الوهاب ، بنى مدرسة المَشَنَّة في إبْ وجامع بيت الفقيه . توفي بمدينة إبّ يوم الخميس ٢٢ جمادى الأولى ٩٢١ هـ .

وُحَاظَة

مصنعة معروفة فى عزلة شَبَع (شُباع) من ناحية حُبَيْش وأَعمال إب . وقد سمى بها مخلاف وحاظة الذي يشمل كثيراً من الْعُزل من ناحية حبيش (ذي الكَلاَع) وهي أَيضاً من ضمنه ، نسب إليها :

أَبو زكريا يحي بن صالح الوحاظي الحمصي

المتوفى سنة ٢٢٢ هـ ، ترجم له الذهبي في تذكره الحفاظ .

عيسى بن إبراهيم بن محمد الرّبعي الكَلاعي :

فقيه أديبٌ لغويٌ نَحْوي ، قال المؤرخ الجندي في كتابه السلوك : كان رأس الطبقة في اللغة والمحقق لمشكلها ، وعليه المعول في اليمن ، توفي بوحاظة سنة ٤٨٠ هـ ، من آثاره (نظام الغريب في اللغة) .

إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الرّبعي :

عالمٌ ، لغويٌ ، شاعرٌ ، أديبٌ ، ذكره مُسَلَّم اللَّحجي في أخبار الزيدية بأنه كان مؤدِّب بعض أولاد الصُلَيْحي . توفي بعد أَخيه بأَيام سنة ٤٨٠ هـ . وقد ترك (قيد الأَوابد) قصيدة في اللغة رتبها ترتيب كتاب العين ، ثم شرحها وأورد فيها نوادر ولطائف من محاسن الأَخبار والأَشعار مطلعها :

أَجيبوا يا ذوي التحصيل للأَداب مَن يسأل
عن الْعَيْهَق والْعَوْهَق والعنجة والعيهل

اليهاقر :

قريةٌ عامرةٌ من قرى الجَنَـدَ ، كانت من القرى المقصودة لطلب العلم ، سكن بها :

ـ أبو بكر بن علي :

عالمٌ محققٌ في القراءات السبع . قدم إلى اليهاقر من بلده جبل حُمَر (القَمَاعرة) فسكنها حتى توفي بها سنة ٨١٠ هـ .

☆ ☆ ☆

هذه عينات من مراكز العلم التي شملها كتابي (هجر العلم ومعاقله في اليمن)[١] ، اخترتها لهذا البحث ، واخترت من كل مركز ذكرته هنا عالِماً أو عالِمَيْن من ذوي المعارف الواسعة الذين انقطعوا للعلم درساً وتدريساً وإفتاءً وتأليفاً ، للتدليل على مابلغت إليه اليمن من ازدهار فكر علمائها ، ورقي عقولهم في تاريخها الإسلامي ، وما أثمرت أقلامهم في شتى ميادين الآداب والفنون والمعارف والعلوم المختلفة ، فأمدت المكتبة العربية بثروةٍ هائلة من ذخائر المؤلفات المتعددة التي لا تحصى ، وكان لظهورها وظهورِ هجر العلم أثرٌ كبيرٌ في استمرار النهضة العلمية ، وتدفق عطائها الفكري ، وانتشار العلوم الإسلامية على مدى

(١) احتوى هذا الكتاب على ما يقرب من خمس مئة هجرة ومعقل علم ، وسيصدر إن شاء اللهُ قريباً بعون الله .

أَلف عام وزيادة مما جعل اليمنَ لا تعرف حالَ ركودٍ أَو انحطاط أَو جمود أَو عقم أَو تخلف في الفكر ، فلقد كانت هجر العلم ومعاقله ظهيراً قوياً وسنداً ركيناً للمدن الشهيرة التي كانت تزخر بمدارس العلم ومعاهده ، وفي مقدمتها صنعاء فكان إذا ما حل بها أَو بغيرها من المدن بعض الكوارث التي تعصف بأَمنها واستقرارها ، فتذوي فيها حياة العلم ويصير حال المدارس فيها كما قال دِعْبِل بن علي الخزاعي :

مدارس آيات خلت عن تلاوة   ومنزل ذكرٍ مقفر العرصات

فإن هجر العلم ومعاقله القائمة ، أَو التي تنشأ من جديد تأوي من يفد إليها من العلماء وطلبة العلم وتحتضنهم ، وتمدهم بأَسباب الرزق ، وتوفر لهم الأَمن والحماية في أَعراضهم وعقيدتهم ، وتهيء لهم الفرص الكاملة لاستمرار نشر العلم .

كما لا يؤثر في قليل أو كثير اختفاء بعض هجر العلم ومعاقله وزوالها من الوجود أَو ضياع العلم من بعضها لما سبق أَن ذكرناه ، ذلك لأَن هجراً ومعاقل للعلم أُخرى تقوم وتنشأ من جديد مما يجعل استمرار حياة العلم مرتبط العُرَى ، موصول الحلقات .

ولئن كانت هذه الهجر ومعاقل العلم خيراً وبركة على اليمن وعلى العلم ، فإن بعض أسباب ظهورها كان نتيجة لفرار العلماء وطلبة العلم إليها ، للابتعاد عن الصراع المذهبي ، والنزاع العقائدي ، الذي سرت عدواه إلى اليمن ، ففرّق أهل اليمن إلى شيع وطوائف ، وكانوا يسيرون ، منذ أن أنعم الله عليهم بالإسلام ، ومنّ عليهم بهدايته للإيمان ، على ما كان عليه رسول الله ﷺ وعلى ما سار عليه صحابته من المهاجرين والأنصار ، رضي الله عنهم ، وكذلك التابعون لهم من العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقط في أُمور دينهم ودنياهم ، وكما سار عليه المسلمون في عصورهم الأُولى قبل أن تتنازعهم الأهواء وتباعد بينهم المذاهب .

لقد كانت بداية الفرقة بين المسلمين حينما أخذ بعض علمائهم يجتهدون في المسائل الفقهية بحسب ما أدّى إليه فهمُ كل واحد منهم فأخذ عامةُ المسلمين يقلدون علماءهم ويلتزمون بالعمل بما اجتهدوا فيه ، وتفرقت بهم السبل ، وأخذ كلٌّ فريق يتحزب لأقوال علمائه ، ويسفه آراء علماء الآخرين ، فكان هذا

بداية ظهور المذاهب الدينية والسياسية ، وأَخذ الخلافُ بين أَصحاب المذاهب يتعمق بعد أَن صار لكل مذهب علماؤه ودعاته وأَتباعه ، واستقوى أَصحابُ كل مذهب بحكامه الذين مكّنوا له من النفوذ والسيطرة على المذاهب الأخرى ، فقويت شوكته ، فعظمت البلية بين أَصحاب المذاهب الإسلامية ، إذ صار أَتباعُ بعض المذاهب يكفّرون ويفسّقون أَصحاب المذاهب الأخرى فتفرق المسلمون ، وتمزقت وحدتهم وضعفت شوكتهم ، ودخل الوهن في قلوبهم فتمكن أَعداؤهم من التسلط عليهم وإذلالهم والتحكم في مصائرهم لأَنهم صاروا غثاء كغثاء السيل .

ولم تنج اليمن من هذه المحنة الكبرى ، فقد ظهر فيها المذهب الإسماعيلي في العقد السابع من المئة الثالثة على يد داعيته علي[1] بن الفضل الجَدني ، والحسن[2] بن فرح بن حَوْشَب بن زادان الكوفي ، الذي عرف فيما بعد ـ عند مؤرخي الإسماعيلية ـ بمنصور اليمن . وقد أَسَّسا في اليمن أَولَ دولة للإسماعيلية ، ثم

(١) المتوفى سنة ٣٠٣ هـ .

(٢) المتوفى سنة ٣٠٢ هـ .

انفرد كل منهما بحكم المقاطعات التي استولى عليها ، وجرت بينهما حروب ضروس ، ولم تدم هذه الدولة طويلاً ، فقد تلاشت بعد وفاتها ، ثم قامت للإسماعيليين دولة كبرى في المئة الخامسة بزعامة الداعي علي بن محمد الصليحي الذي ملك اليمن كلها ، ثم تناقضت البلادُ بعد مقتله سنة ٤٥٩ هـ وخلفه ابنه الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي .

وقدم من الحجاز إلى اليمن الإمام الهادي يحي بن الحسين بن القاسم الرَّسي في صفر سنة ٢٨٤ هـ ، فدعا إلى نفسه بالإمامة وأَسس مذهبه الذي عرف بالمذهب الزيدي وقد انتشر[1] ، في البداية في محيط انتشار نفوذ حكمه في نجران وصعدة ونواحيها كما سبق بيان ذلك .

وقد تفرع من المذهب الزيدي فرقتان هما : الحسينية

---

(١) انتشر المذهب أكثر ما انتشر في عهد الإمام أحمد بن سليمان المتوفى سنة ٥٦٦ هـ ، وفي عهد الإمام عبد الله بن حمزة المتوفى سنة ٦١٤ هـ ، وفي عصر الإمام صلاح الدين بن علي المتوفى سنة ٩٦٥ هـ ، وفي عهد الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ .

والمطرفية ، فأما الحسينية فهي تنتسب إلى الحسين بن القاسم بن علي العِيَاني الذي دعا إلى نفسه بالإمامة من هجرة (قاعة) بعد وفاة والده سنة ٣٩٣ هـ ، وقيل سنة ٤٠١ هـ كما في أنباء الزمن ، وتلقب بالمهدي وادعى ـ كما ذكر المؤرخ يحي بن الحسين في كتابه (أنباء الزمن) في أخبار سنة ٤٠١ ـ أنه الذي بشر به النبي ﷺ وذكر ابن أبي الرجال في كتابه (مطلع البدور) نقلاً عن السيد صلاح بن الجلال قائلاً :

« وزعم أنه المهدي المنتظر الذي بشر به النبي ﷺ فافتتن به الناس ، وأقبلوا إليه مهرعين ، فزعم أنه أفضل من النبي ، وأن كلامه ومصنفاته ورسائله أفضل من القرآن ، وأبهر في ظهور المعنى ، وقطع كلام الخصم ، فنفر الناس عنه » . وقد انتهى أمره بأن قتلته همدان في ذي عَرار من البون في صفر ٤٠٤ هـ .

ولما أُشيع قتله جاء أخوه جعفر بن القاسم فقال لإخوته وشيعته : إن هَمْدَان وكرنا فإن نسبنا إليهم قتله وتقمنا بالثأر لم يصلح ، وإن تركنا لحقنا النقص فأظهروا حياته فشاعت الفكرة عند أشياعه ، واعتقد صحتها فريقٌ منهم .

وقد أنكر على معتقدي وجوده حيّاً كثيرٌ من العلماء ، وقال الجعيد بن الحجاج الوادعي (صهر نشوان بن سعيد الحميري) مفنداً هذه الدعوى الباطلة التي انخدع بها الناس :

أما الحسينُ فقد حواه الملحدُ ... واغتاله الزمنُ الخؤونُ الأنكدُ
فتبصروا - يا غافلين - فإنه ... في ذي عرار - ويحكم - مستشهدُ

وقال صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير في بسامته في فساد هذا المعتقد وبطلانه :

وأنزلت ساحةَ المهدي قارعةً ... بذي عرار، ونقعُ الخيلِ لم يثُرِ
وقال قوم: هو المهدي منتظر ... قلنا: كذبتمْ حسين غير منتظر

وقد استمر هذا المعتقد الباطل في بعض ديار الزيدية إلى أوائل المئة الثامنة ثم اختفى .

وأما المطرفية فتنتسب إلى مُطَرَّف بن شهاب بن عمرو بن عباد الشهابي ، وهو من أعيان أواخر المئة الرابعة وأوائل المئة الخامسة . كان أحد علماء الزيدية الكبار ، وكان على مذهب الهادي في الفروع ، إلا أنه كان يرى أن الإمامة تصلح في

الأَفضل والأَعلم من المسلمين ، فلقيت دعوتُه هذه استجابةً عند كثير من العلماء ، وقد عرفوا بالمطرفية ، وقال يحي بن الحسين في كتابه (أنباء الزمن) في أَخبار سنة ٣٩٣ : « وكان أُصولهم - أي المطرفية - تعتقد أَن التأثير لله تعالى في أُصول الأشياء دون فروعها على تفاصيل ذكروها غير صحيحة » .

وقد سبق في هذا البحث أَن الإمام عبد الله بن حمزة قضى على هذه الفرقة في أَوائل المئة السابعة ، وأَخرب مساجدهم ، وأَتلف تراثهم . واستنكر عليه بعض العلماء المعاصرين له ، ولاموه على ما فعل بالمطرفية بينما ترك الفرقة الحسينية تمرح في معتقداتها وأَوهامها الباطلة ، ولم ينكر عليهم ذلك .

وظهر المذهب المالكي في جبال وصاب ، كما ذكر الجندي في كتابه (السلوك في طبقات العلماء والملوك) فقد قال : إن علي بن محمد بن أَحمد التباعي الهمداني أَدرك الإمام مالك بن أَنس وأَخذ عنه ، وعاد بمذهبه إلى اليمن فانتشر عنه ، ولكن هذا المذهب اختفى بعد وقت قصير من ظهوره لأسباب غير معروفة ، وربما لأَنه لم ينتشر كثيراً .

وكذلك ظهر المذهب الحنفي في بعض قرى وادي زبيد من تهامة ، وفي بعض أُسر في مدينة زبيد نفسها ، وفي بعض مناطق أخرى من تهامة ولا نعلم من الذي نشره في اليمن ، وما يزال منتشراً في وادي زبيد على قلة .

أَما المذهب الشافعي فقد ظهر في اليمن في أَوائل المئة الخامسة على يد القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي القرشي المتوفى بقرية (سهفنة) من نواحي ذي السَّفال سنة ٤٣٧ هـ ، فقد ذكر ابن سمرة في (طبقات فقهاء اليمن) في ترجمته فقال : وهذا الفقيه قاسم هو الذي انتشر عنه المذهب الشافعي في مخلاف الجند وصنعاء وعدن ، ومنه استفاد فقهاء هذا المذهب في هذه البلاد . وكانت مدرسته في سَهْفَنة ، فأَخذ عنه شافعية المعافر ولحج وأبين وأَهل الجند والسحول وأحاظة وعنّه ووادي ظبا[١] .

وقال ابن سمرة أَيضاً في معرض ذكره لبني أَبي عُقَامة : « وفضائل بني أَبي عقامة مشهورة ، وهم الذين نصر الله بهم

---

(١) ابن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن . ٨٨ .

مذهب الإمام الشافعي في تهامة ، وقدماؤهم جهروا ببسم الله الرحمن الرحيم في الجمعة والجماعات »[1] .

وقد انقسم أصحاب الإمام الشافعي إلى فريقين فالساكنون في الجبال كانوا حنابلة الأصول ، والساكنون في تهامة كانوا أشعرية الأُصول والعقيدة ، وقد جرى بين الفريقين صراع مؤلم حينما لجأ بعضُ علماء الشافعية من زَبيد وغيرها إلى الجبال ، ونزلوا قرية ذي اشرق فراراً من طغيان علي بن مهدي الرعيني الحميري وأولاده فكان فقهاء ذي اشرق يكفرون فقهاء زبيد[2] ، ثم اعتنق الشافعية أصحابُ الجبال أصول الأشعرية بعد مجيء مؤلفات أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ ، كما ذكر يحيى بن الحسين في كتابه (أنباء الزمن) في أخبار سنة ٥٦٩ بقوله : « إن بني أيوب أخرجوا معهم إلى اليمن مصنفات الأشعري وأتباعِهِ كالغزالي وغيره فتحول أكثرُ أتباع الإمام الشافعي في اليمن الأسفل إلى مذهب الأشعري في الأُصول

---

(١) المصدر نفسه : ٤ .

(٢) المصدر نفسه : ١٧٩ .

بعد أن كانوا حنابلة ، وبقي بعضهم على ما كانوا عليه » وذكره بامخرمة في (ثغر اليمن) في ترجمة الزكي البَيْلَقاني مالفظه : وأما اليوم فجميعهم أي علماء اليمن[1] أشعرية ، ومتظاهرون بذلك فلله الحمد والمنة[2] .

وظهر في اليمن الإباضية[3] على يد الْحُطَيْط بن عبد المجيد الإباضي من أعيان المئة الخامسة ، حينما دعا إلى نفسه بالإمامة من حصن المَحْطْوَر ، واستجاب له أهلُ الشَّرَف وغيرُه ، كما انتشر مذهبه أيضاً في بلاد السُّوْدَة . وذكر يحي بن الحسين بن القاسم في كتابه (أنباء الزمن) في أخبار سنة ٤٦٩ هـ مالفظه : « وفي شهر القعدة من هذه السنة أجمع الشرفاء والسلاطين بحضرة الأمير ذي الشرفين بشهارة ، وأجمع رأيهم على المَخْرَج (الغزو)

---

(١) يقصد باليمن هنا اليمن الأسفل ، وهذا معروف في اليمن فهم يقولون : فلان سافر إلى اليمن ، ويعنون به اليمن الأسفل الذي يبدأ من جبل سمارة . وهو بداية مخلاف جعفر .

(٢) يحي بن الحسين ، أنباء الزمن : ٨٢/٢ .

(٣) المذهب الإباضي منتشر في عُمَان ، وهو المذهب الرسمي لسلطنتها ، ويوجد له اتباع في الجزائر وليبيا .

والـذي أَوجب ذلـك ظهور الخـارجي الْحُطَيْـط بن عبـد المجيـد الإباضي وأدعاؤه الإمامـة » ، ثم قـال : واجتمع إليـه أَهلُ الشرف وغيرهم ، والإمـامـة في اعتقـادهم جـائزة في جميع النـاس ، وكان غرضـه منـاصبـة الأَمير ذي الشرفين فسـار إليـه ذو الشرفين بمن جمعه من قبائل جهته فوافاه في المحطور فاشتـد القتـال ، وكانت الدائرة على الخارجي » .

هـذا وقـد انتشرت الإبـاضيـة أَيضـاً في شظب ، فـأَخرج إبراهيم بن علي الطامي المتوفى سنة ٥١٦ هـ أَهلها عن الإبـاضيـة كما ورد في ترجمته في كتاب (طبقـات الزيـديـة) لمسلم بن محمـد اللحجي ، فقد ذكر أنه هو الذي أَخرج أَهلَ شظب عن مـذهب الإباضية حتى رجعوا زيدية هادوية .

وانتشرت الإبـاضيـة كـذلـك في مخلاف حضرموت أَيضـاً ، واستمرت إلى المئة السادسة ، ثم تلاشت ويقال : إنـه مـا يزال في حضرموت بقية يسيرة تدين بهذا المذهب والله أعلم .

وهكذا نجد أَن هذه المذاهب والعقائـد هي التي فرقت أَهل اليمن ـ كما فرقت سـائر المسلمين في ديـارهم الأَخرى ـ إلى شيـع

وطوائف ، وأنها سبب بلائهم ومحنتهم وذلهم ، وأن النكبات التي حلَّت بهم ، وتوالت عليهم ، فقتل بعضهم بعضاً للعصبية المقيتة ، إنما جاءت من قبل النوازع المذهبية والعقائد السياسية .

وليس لهذه المحنة من زوال سوى نبذ التقليد والرجوع إلى العمل بكتاب الله وما صح من كلام رسول الله ، ﷺ ، فهما حبل الله الذي حثنا القرآن الكريم على الاعتصام به في قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل اللهِ جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذْ كنتم أعدَّاء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرةٍ من النارِ فأنقذكم منها ، كذلك يُبَيِّن اللهُ لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾[1] .

﴿ ربَّنا لا تُزِغ قلوبَنا بعدَ إذ هديتنا وهَب لنا من لَدُنْكَ رَحْمةً إنَّكَ أَنْتَ الوَهَّاب ﴾ [آل عمران ٨] .

﴿ ربَّنا عليكَ توكلنا وإليك أنبنا وإليكَ المصير رَبَّنا

لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنتَ العزيز الحكيم ﴾[1] .

وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين .

﴿ وآخر دعواهم أنِ الحمد لله ربِّ العالمين ﴾[2] .

---

(١) الممتحنة ٤ ـ ٥ .

(٢) يونس : ١٠ .

ثبت المصادر والمراجع

١ ـ أحمد بن عبد الله الوزير (ت ٩٨٥ هـ)
ـ تاريخ آل الوزير المسمى (الفضائل) .
٢ ـ إسماعيل بن علي الأكوع :
ـ نشوان بن سعيد الحميري والصراع الفكري والمذهبي والسياسي في عصره . دار الكتاب الجديد ، بيروت .
٣ ـ بامخرمة ، عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد .
ـ تاريخ ثغر اليمن . تحقيق المستشرق السويدي لوفغرين ، طبع في بريل : ١٩٣٦ م .
٤ ـ ابن بطوطة .
ـ رحلة ابن بطوطة
٥ ـ الجندي ، محمد بن يوسف (ت ٧٣٣ هـ)
ـ السلوك في طبقات العلماء والملوك ، طبع بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع .
٦ ـ الحجري محمد بن أحمد (ـ ١٣٨٠ هـ)

ـ مجموع بلدان اليمن وقبائلها . تحقيق وتعليق إسماعيل بن علي الأكوع .

٧ ـ الخزرجي ، علي بن حسن (ـ ٨١٢ هـ)

ـ طراز أعلام الزمن في ذكر علماء اليمن .

ـ العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات العلماء والملوك .

ـ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرَّسولية .

٨ ـ الديبع ، عبد الرحمن بن علي (ـ ٩٤٣ هـ)

ـ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوع الحوالي .

٩ ـ الرازي ، أحمد بن عبد الله (ـ ٥٠٠ هـ تقريبا)

ـ تاريخ صنعاء ، تحقيق وتعليق حسين عبد الله العمري وسهيل زكار .

ـ تاريخ اليمن المسمى (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوع .

١٠ ـ ابن أبي الرجال ، أحمد بن صالح (ـ ١٠٩٢ هـ)

- مطلع البدور ومجمع البحور .

١١ - ابن سمره ، عمر بن علي

- طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد .

١٢ - الشجني ، محمد بن حسن .(- ١٢٨٦ هـ)

- التقصار في جيد زمن علامة الأقاليم والأمصار .

(مطبوع) بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع .

١٣ - الشرفي ، أحمد بن محمد (- ٨٥٥ هـ)

- اللآلئ المضيئة الملتقطة من اللواحق الندية في أخبار أئمة الزيدية .

١٤ - الشوكاني ، محمد بن علي (- ١٢٥٠ هـ)

- البدر الطالع لمحاسن م بعد القرن السابع .

١٥ - العرشي ، حسين بن أحمد (- ١٣٢٩ هـ)

- بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن ، تولى ملك اليمن من ملك وإمام . تحقيق وتعليق القس أنستاس الكرملي .

١٦ - العنسي ، عبد الله بن زيد (- ٦٦٧ هـ)

- التمييز بين الإسلام والمطرفية الطغام .

١٧ ـ الكوكباني ، حسن بن عبد الرحمن (ـ ١٢٦٥ هـ)
ـ المواهب السنية والفواكة الجنية من أغصان الشجرة المهدية المتوكلية .
١٨ ـ اللحجي ، مُسَلَّم بن محمد (ـ ٥٣٠ هـ)
أخبار الزيدية . (مخطوط)
١٩ ـ ابن المجاور ، يوسف بن يعقوب (ـ ٦٩٠ هـ)
ـ صفة بلاد اليمن المسمى (تاريخ المستبصر) تحقيق أوسكار لوفغرين .
٢٠ ـ محمد بن محمد زبارة (ـ ١٣٨٠ هـ)
ـ أئمة اليمن في القرن الرابع عشر .
ـ نزهة النظر في تراجم علماء القرن الرابع عشر ، اختصره عبد الكريم الجرافي ، وأضاف إليه تراجم أخرى .
٢١ ـ اليافعي ، عبد الله بن أسعد (ـ ٨٦٨ هـ)
ـ مرآة الجنان دائرة وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان . مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد الدكن : ١٣٢٩ هـ .

٢٢ ـ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ـ١١٠٠ هـ)
ـ أنباء الزمن في تاريخ اليمن . (مخطوط)
ـ بهجة الزمن ذيل أنباء الزمن . (مخطوط)
ـ طبقات الزيدية الصغرى (المستطاب)
٢٣ ـ يحيى بن محمد المقرائي (ـ ٩٩٠ هـ)
ـ مكنون السّر في تحرير نحارير علماء السر . (مخطوط)
٢٤ ـ اليمني ، عمارة
ـ تاريخ اليمن (مطبوع) بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع .
٢٥ ـ اليماني ، عبد الباقي بن عبد المجيد (ـ ٧٤٣ هـ)
ـ بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق مصطفى حجازي .

الفهرس

الموضوع	الصفحة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com